وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل الثاني
أوجه التناسب وأنواعه في القرآن الكريم

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: أوجه التناسب في الآي

المبحث الثاني: أوجه التناسب في السورة القرآنية

المبحث الثالث: أوجه التنـاسب بين السـور

المبحث الرابع: أوجه التناسب في القصص القرآني

المبحث الخامس: أنواع التناسب بين السور المتجاورة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قُصد في الفصل السابق إلى التمهيد لموضوع التناسب، والتعريّف بسورة البقرة، وهما شقا عنوان الأطروحة، أما هذا الفصل فهدفه استعراض أبرز وجوه التناسب في القرآن الكريم تمهيداً وتقعيداً لما سيقال حول أوجه التناسب في سورة البقرة، وتأكيداً على أن ما سيقال هناك ليس بدعاً من القول بل له نظائر في الكتاب الحكيم جميعه.

ويشتمل هذا الفصل على أوجه التناسب في الآي، والمناسبات الداخلية للسورة القرآنية، وأوجه التناسب الخارجية لها مع غيرها، وكذا التناسب في القصص القرآني وقد أفرد لأهميته، علماً بأن بعض أوجه التناسب فيه يندرج تحت الأوجه الداخلية وبعضها الآخر مشمول في الأوجه الخارجية للتناسب، والمبحث الأخير يذكر أنواع الروابط بين الآيات والسور.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المبحث الأول
أوجه التناسب في الآي

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التناسب في الآية

المطلب الثاني: التناسب بين الآيات

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أوجه التناسب في الآي

يتضمن هذا المبحث أوجه التناسب في الآية من حيث: التناسب بين النداء ومضمون الآية، فالتناسب في ترتيب المذكورين، ثم المناسبة بين الآية والفاصلة، ومن ثم التناسب بين الآيات المتجاورة، وفيه التناسب بين المقسم به والمقسم عليه، وسأفرد لكل منها مطلباً من المطالب الآتية:

المطلب الأول: التناسب في الآية

أكثر ما بحث المفسرون المناسبات في الآية، إذ هي تتعلق بالسياق القريب، وبعدها المناسبة مع الآية المجاورة، والذي هو موضوع المطلب التالي.

ومن أوجه المناسبات في الآية الواحدة اختيار المفردات، وكذا الحذف والذكر، والتقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، وفي كتب التفسير والإعجاز البياني منه الكثير وهو ليس غرض هذا البحث، ومن الأوجه كذلك ارتباط المنادى بموضوع الكلام والغرض المطلوب، ومنها ترتيب الأسماء والنعوت داخل الآية، وكذلك مناسبة الفاصلة للآية.

<u>أولاً: المناسبة بين النداء والمضمون:</u>

في القرآن نداءات كثيرة تتصدر آياته أو تتوسطها، من مثل: (يا بني آدم، يا بني إسرائيل، يا أهل الكتاب، يا أيها الذين هادوا، يا أيها الإنسان...)، وكل واحد منها يناسب السياق والغاية من النداء، ومن أمثلته:

١) يا بني آدم:

النداء الأول: ژ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃﮄ ژ [الأعراف: 26].

قال في زهرة التفاسير: " النداء لبني آدم جميعاً؛ لأنه مجاوبة للفطرة الإنسانية التي جعلت أبوي البشر يخصفان عليهما من ورق الجنة، ولذا كان النداء إلى أولاد آدم، وفيه إشارة إلى تلك الفطرة السليمة، وإلى ذلك الحياء الفطري الذي هو سمة الإنسانية الرفيعة، لا إلى تلك الإنسانية المسيخة، التي تظهر في العري الفاحش الذي يقره بعض الذين تبلدت مشاعرهم وأحاسيسهم"[1].

---

(1) أبو زهرة، محمد، **زهرة التفاسير**، (2804/6)، دار الفكر العربي، مصر، د ط، د.ت.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

النداء الثاني: ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮊ [الأعراف].

حيث جاء النداء " للناس أجمعين، تذكيراً للأبناء بما كان للآباء من عداوة إبليس، وتهديده بإغوائهم، وأنه يقعد لهم الصراط المستقيم، فالله تعالى ينهانا أن ننخدع بالشيطان، وله ماض في إيذائنا وخدع أبوينا، وكان من نتيجة استجابتهما لوسوسته إخراجهما من الجنة وكشف سوءاتهما"[1].

٢) يا بني إسرائيل:

يقول أبو حيان[2]:" وأضافهم إلى لفظ إسرائيل، وهو يعقوب، ولم يقل: يا بني يعقوب، لما في لفظ إسرائيل من أن معناه عبد الله أو صفوة الله، وذلك على أحسن تفاسيره، فهزهم بالإضافة إليه؛ فكأنه قيل: يا بني عبد الله، أو يا بني صفوة الله، فكان في ذلك تنبيه على أن يكونوا مثل أبيهم في الخير، كما تقول: يا ابن الرجل الصالح أطع الله، فتضيفه إلى ما يحركه لطاعة الله؛ لأن الإنسان يحب أن يقتفي أثر آبائه"[3].

٣) يا أهل الكتاب:

قال تعالى: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ [آل عمران]، "والسبب في هذا النداء هو أولاً توبيخهم على ما كان منهم؛ لأن علمهم بالكتاب كان يوجب عليهم الإذعان للحق بدل التفرق فيه،ﮋ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮊ [الشورى:14]، ثم هناك سبب آخر، وهو أن علمهم بالكتاب في الجملة يجعل الاحتكام إلى ما بقي منه عندهم كافياً لإذعانهم إن كانت عندهم أثارة من إيمان بالحق وطلب له مع ما هم فيه من تعصب"[4]. ومثل ذلك يقال في الآية الكريمة ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮊ [آل عمران: 65]، فإن علمهم بالكتاب يجعلهم على بينة من أمر إبراهيم عليه السلام ومن ثم فإن حجاجهم مغالطة لما يعرفون.

ثانياً: المناسبة في ترتيب الأمور المذكورة داخل الآية

---

(1) أبو زهرة، **السابق**، (6/ 2807- 2808)، بتصرف.

(2) محمد بن يوسف بن حيان، الأندلسي الغرناطي،(654- 745هـ)، نحوي عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه، له سوى التفسير، التذييل والتكميل، وإتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب.[**طبقات الداودي**، 2/286-291، **طبقات الأدنروي** 278-280].

(3) أبو حيان ، محمد بن يوسف الأندلسي، **البحر المحيط في التفسير**،(1/ 281)، دار الفكر، بيروت، 1413هـ - 1992م.

(4) أبو زهرة، **زهرة التفاسير**،(3/1257).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

لفت غير واحد من المفسرين إلى الحكمة من الترتيب للأمور المذكورة في الآية أو الآيات، ومن الأمثلة على ذلك:

١) الحكمة من ترتيب الدواب المذكورة في قوله تعالى: ﮋ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﮊ [النور:٤٥]، كما يراها الزمخشري: " هي لتقديم ما هو أعرق في القدرة: وهو الماشي بغير آلة مشي من أرجل أو قوائم، ثم الماشي على رجلين، ثم الماشي على أربع"[1].

٢) وقال أبو حيان عن الترتيب في الآية الكريمة: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮊ [البقرة:98]:" وهذا الترتيب في غاية الحسن؛ فابتدئ بذكر الله، ثم بذكر الوسائط التي بينه وبين الرسل، ثم بذكر الوسائط التي بين الملائكة وبين المرسل إليهم، فهذا ترتيب بحسب الوحي، ولا يدل تقديم الملائكة في الذكر على تفضيلهم على رسل بني آدم، لأن الترتيب الذي ذكرناه هو ترتيب بحسب الوسائط، لا بالنسبة التفضيل"[2].

وعند قوله تعالى ﮋ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮊ [البقرة: 285]، قال:" وهذا الترتيب في غاية الفصاحة؛ لأن الإيمان بالله هو المرتبة الأولى، وهي التي يستبد بها العقل؛ إذ وجود الصانع يقر به كل عاقل، والإيمان بالملائكة هي المرتبة الثانية؛ لأنهم كالوسائط بين الله وعباده، والإيمان بالكتب: هو الوحي الذي يتلقنه الملك من الله يوصله إلى البشر، هي المرتبة الثالثة، والإيمان بالرسل الذين يقتبسون أنوار الوحي فهم متأخرون في الدرجة عن الكتب، هي المرتبة الرابعة"[3].

ويضاف إلى ذلك أن تأخير الرسل هو أيضاً بسبب ما بعدها من الحديث عن عدم التفريق بين أحد منهم. والدرجات التي يتحدث عنها أبو حيان هي مراتب لأركان الإيمان، لا درجات ومراتب المذكورين، كما بيّن ذلك في الآية السابقة.

ثالثاً: المناسبة بين الفاصلة والآية:

والحديث هنا يتضمن المناسبة بين الفاصلة والآية، وبعض العادات القرآنية في تقديم الأسماء الحسنى أو تأخيرها، وسر التغاير في بعض الأحيان، ومن الأمثلة على ذلك:

---

(1) الزمخشري، **الكشاف**،(240/3).

(2) أبو حيان، **البحر المحيط**، (516/1).

(3) أبو حيان، **البحر المحيط**، (765/2).

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

١) ما رواه الأصمعي[1] بقوله:"كنت أقرأ سورة المائدة ومعي أعرابي، فقرأت هذه الآية: ژ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹٹ ژ ، فقلت:(والله غفور رحيم)، سهواً، فقال الأعرابي: كلام من هذا؟ فقلت: كلام الله، قال: أعد، فأعدتُ: (والله غفور رحيم)، ثم تنبهت فقلت: ژ ڤ ڤ ڤ ڤ ژ [المائدة] ، فقال:الآن أصبت! فقلت:كيف عرفت؟ قال: يا هذا عزيز حكيم فأمر بالقطع، فلو غفر ورحم لما أمر بالقطع"[2].

٢) السر في تقديم الرحمن على الرحيم:" أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف، والثاني للفعل، فالأول دال على أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته"[3].

٣) أما الحكمة من جريان العادة القرآنية بتقديم اسم الغفور على الرحيم، فهي أن دفع الضرر أولى من جلب المنفعة، فضلاً عن أن في هذا الترتيب تصاعداً في النعم من الأدنى إلى الأعلى، و" المغفرة ستر للذنوب، أما الرحمة فتفضل وإنعام زائد على مغفرة الذنوب؛ لذا قُدمت المغفرة على الرحمة، والتخلية مقدمة على التحلية"[4].

لكن سورة سبأ هي الوحيدة التي تقدم فيها اسمه سبحانه الرحيم على اسم الغفور: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ژ.

والسر في مغايرة آية سبأ لسائر الآيات " أن الغفور يتقدم في كل موطن يهمس فيه السياق بوقوع المعاصي وكفران النعم، والدعوة إلى التوبة والاستغفار من الذنوب، فتكون المبادرة بالمغفرة لطمأنة المذنبين والخطائين إلى أن يد الله ممدودة إليهم، تعفو عنهم وتستر خطاياهم لأنه رحيم بهم... أما الآية التي تقدمت فيها الرحمة من سورة سبأ، فهي في سياق يعدد الله تعالى فيها نعمه على خلقه، المستوجبة للحمد والشكر عليها ... هذه النعم الجليلة مصدرها ودوام بقائها رحمة الله الواسعة بخلقه مع مقابلتهم لها بالكفران والنسيان"[5] وكذلك فإن سياق آية

(1) عبد الملك بن قُريب بن أصمع الباهلي (216-122هـ)، مولده ووفاته بالبصرة، راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، طاف البوادي يقتبس علومها وأخبارها، له: الإبل، والخيل، والمترادف، وشرح ديوان ذي الرمة[**الأعلام** 162/4].

(2) الرازي، **التفسير الكبير**، (357/4).

(3) ابن القيم، محمد بن أبي بكر الدمشقي، **بدائع الفوائد**، (24/1)، دار الكتاب العربي، بيروت، دط، دت.

(4) عباس، **إعجاز القرآن الكريم**، (ص213).

(5) الخضري، محمد الأمين، **من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة القرآنية**، (ص50)، د.ن، القاهرة، د.ط، 1414هـ - 1994م.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

سبأ هو سياق القدرة والعلم، وسياق العناية بالمخلوقات المذكورة، التي تتجلى فيها كلها رحمة الله تبارك وتعالى[1].

٤) وسر اختلاف الفواصل بين الآيتين: ژ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ چ چ ژ [القصص]؛ أن الليل يصلح للاستماع ولا يصلح للإبصار، فيما النهار ظرف مضيء صالح للإبصار[2]، بل يحصل فيه تشويش للسمع لكثرة الأصوات.

٥) وحول الفاصلتين في الآيتين الكريمتين: ژ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ژ [التوبة].

يقول الشيخ محمد أبو زهرة[3]، عن فاصلة الآية الأولى:" فهم يريدون الإطفاء والله لا يريد إلا أن يتم نوره، ويعم الوجود الإنساني، وإرادة الله هي النافذة؛ لأن إرادتهم ظلمة والنور كاشف: ژ ٿ ٿ ٿ ژ؛ لأن ستر الحقائق والتمويه والتضليل لا يدوم مهما يطل الزمان، وقد أيد الله دعوة الحق بإرسال محمدρ يكشف به الظلمات[4]"، فالشيخ رحمه الله ربط بين أصل معنى الكفر الذي هو الستر، وما يقوم به الكفرة من محاولة إطفاء نور الله الكاشف للظلمات والمميز للحق من الباطل، وأما في الآية الثانية فقد أوضح أن دين الحق هو التوحيد[5]، ولذلك فهم يكرهونه لأنهم مشركون. والمشركون الكافرون في الآيتين السابقتين هم أهل الكتاب، الذين قالت عنهم الآية السابقة لهاتين الآيتين: ژ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا □□ □□□□ □□□ ژ [التوبة].

المطلب الثاني: المناسبة بين الآيات

---

(1) عباس، **إعجاز القرآن الكريم**، (ص 214).

(2) ابن أبي الإصبع المصري، **تحرير التحبير**، (ص364)، تحقيق حفني محمد شرف، منشورات لجنة إحياء التراث الإسلامي، وزارة الأوقاف، القاهرة، د.ط، 1416هـ - 1995م.

(3) هو محمد أحمد مصطفى أبو زهرة،(1898- 1974م)، من علماء الأزهر الأفذاذ، له عشرات الكتب منها: المعجزة الكبرى، خاتم النبيين، الملكية ونظرية العقد، تاريخ الديانات القديمة، وعدة دراسات عن أئمة الفقه.[انظر: **الأعلام**:25/6-26، ومقدمة **زهرة التفاسير** 3/1-11].

(4) أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، (3286/6).

(5) أبو زهرة، **السابق**، (3287/6).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

التناسب بين الآيات يشمل أشكالاً عدة، وهو كسابقه لا ينفك عما سيأتي من المناسبات في السورة أو بين السور، أو في القرآن الكريم جميعه، والقصد من إفراده هو العبور من خلاله إلى ما هو أعم وأشمل. ويشتمل هذا المطلب على أمثلة للمناسبة بين الآية وسابقتها، والمناسبة بين المقسم به والمقسم عليه.

أولاً: المناسبة بين الآية وسابقتها:

١) مناسبة قوله تعالى: ژ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ژ [التوبة]، مع الآية الكريمة السابقة، ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ژ [التوبة]؛ أنه " لما حرم الله تعالى على الكفار أن يقربوا المسجد الحرام، وجد المسلمون في أنفسهم بما قُطع عنهم من التجارة التي كان المشركون يوافون بها؛ قال الله عز وجل: ژ ڄ ڃ ڃ ژ الآية. ثم أحل الله في هذه الآية الجزية وكانت لم تؤخذ قبل ذلك؛ فجعلها عوضاً مما منعهم من المشركين"(1).

٢) عند تفسير الآية الكريمة: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ژ [البقرة] قال الشوكاني:" لما ذكر سبحانه عدة الطلاق واتصل بذكرها ذكر الإرضاع؛ عقب ذلك بذكر عدة الوفاة لئلا يتوهم أن عدة الوفاة مثل عدة الطلاق"(2)، وفي نظم الدرر:" لما ذكر عدة الطلاق الذي هو فرقة الحياة، انتظم برأس آيته عدة الوفاة الذي هو فراق الموت واتصل بالآية السابقة لما انجر في ذكر الرضاع من موت الوالد وأمر الوارث"(3).

٣) والتناسب بين الآيتين الكريمتين: ژ ... ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ژ [آل عمران]، قال الإمام الطبري:" يعني بذلك جل ثناؤه: أفغير دين الله تبغون يا معشر اليهود، وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً، وإليه ترجعون، فإن ابتغى غير دين الله يا محمد، فقل لهم: آمنا بالله؛ فترك ذِكر قوله:" فإن قالوا نعم"، وذِكر قوله:"فإن ابتغوا غير دين الله"، لدلالة ما ظهر من الكلام عليه"(4).

---

(1) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، (8/ 44)، دار الفكر، لبنان، د ط، 1415هـ - 1995م.

(2) الشوكاني، **فتح القدير** (430/1).

(3) البقاعي، **نظم الدرر**: (442/1).

(4) أبو جعفر الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (3/ 458).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

٤) و قال في اللباب عن سر مجيء قوله تعالى: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ[آل عمران: 28]، بعد الآيتين الكـــريمتين: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ [آل عمران]:" في كيفية النظم وجهان: أحدهما: أنه– تعالى– لما ذكر ما يجب أن يكون المؤمن عليه في تعظيم الله – تعالى– ذكر بعده ما يجب أن يكون المؤمن عليه في المعاملة مع الناس فقال: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ، والثاني: أنه لما بين أنه – تعالى– مالك الدنيا والآخرة، بين أنه ينبغي أن تكون الرغبة فيما عنده وعند أوليائه، دون أعدائه"[1].

وقال في تفسير المنار:" جاء قوله تعالى: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ ، بعد تلك الآية التي نبه الله فيها النبي والمؤمنين إلى الالتجاء إليه معترفين أن بيده الملك والعز ومجامع الخير، والسلطان المطلق في تصريف الكون يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، فإذا كانت العزة والقوة له – عز شأنه– فمن الجهل والغرور أن يعتز بغيره من دونه، وأن يُلتجأ إلى غير جنابه، وأن يذل المؤمن في غير بابه"[2].

٥) و قال الطبري عن المناسبة بين الآيات الثلاث: ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﭼ [البقرة]، ما ملخصه: أي قاتلوا أيها المؤمنون في سبيل الله الصادين عن سبيله ولا تجبنوا عن لقائهم وقتالهم حذر الموت؛ فتذلوا ويأتيكم الموت كما أتى الذين خرجوا من ديارهم فراراً من الموت، ثم أهابت الآية الأخيرة بالمؤمنين أن ينفقوا لإعانة المجاهدين في سبيل الله[3].

ثانياً: المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه.

القسم في القرآن فضلاً عما يؤديه من التوكيد، وما يلفت إليه من علو شأن المقسم به – إذ أقسم به رب العزة في كتابه –، فإنه يقصد به الاستدلال بالمقسم به على المقسم عليه، كما ستوضحه النقاط الآتية:

١) مناسبة القسم بالعاديات على أن الإنسان لربه لكنود هي أن" الله سبحانه يصف الخيل في هذه السورة بأوصاف ويذكر لها أعمالاً، كلها ترجع إلى نقطة، وهي الوفاء والفداء والإيثار لسيدها.

---

(1) ابن عادل الحنبلي، **اللباب في علوم الكتاب**، (142/5)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، ط 1 ، 1419هـ – 1998م.

(2) رضا، محمد رشيد، **تفسير القرآن الحكيم،الشهير بتفسير المنار**،(3/ 276)، دار المعرفة، بيروت، 1414هـ – 1993م.

(3) الطبري، **جامع البيان**، (2/ 800 – 802).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

"فهي التي تفديه بنفسها وتشقى لنعيمه، وتموت لحياته، ولا تعرف لنفسها ولا لحياتها حقاً، ترمي بنفسها في الخطر، وفي النار والبحر، وتصبر على الجوع والعطش، وتتحمل المشاق: تعدو ضبحاً، وتوري قدحاً، وتغير صبحاً، فتثير به نقعاً، وتوسط به جمعاً، ولا تصوير أبلغ من تصوير الله سبحانه.

"تفعل كل هذا مع ربها، وهو ليس لها برب، والذي هو من غير جنسها، والذي يستخدمها أكثر مما يخدمها، وهو الحيوان غير الناطق غير العاقل. فكيف الإنسان العاقل الشريف مع ربه الحقيقي وولي نعمه، إن الإنسان لربه لكنود! فللإنسان عبرة في دواجنه وفي عبيده المسخرة"(1).

٢) وعن علاقة القسم بالتين والزيتون وطور سينين والبلد الأمين، بخلق الإنسان في أحسن تقويم، في قوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﮊ [التين] أن كل:" هذه الأمكنة الطاهرة تشهد بمزية الإنسان واعتدال طبيعته واستعداده لأكبر مهمة وحمل أمانة النبوة، والنبوة لا يليق لها إلا المعتدلون في الخلق والخلق"(2).

وقد " ترقى في هذا القسم من الفاضل إلى الأفضل؛ فبدأ بموضع مظهر المسيح، ثم ثنى بموضع مظهر الكليم، ثم ختمه بموضع مظهر عبده ورسوله وأكرم الخلق عليه"(3).

٣) وعن حكمة القسم بالقلم أن محمداً ρ ليس بمجنون، قال الإمام ابن تيمية:" أقسم سبحانه بالقلم وما يسطرون؛ فإن القلم به يكون الكتاب الساطر، للكلام المتضمن الأمر والنهي والإرادة والعلم المحيط بكل شيء؛ فالإقسام وقع بقلم التقدير ومسطوره، فتضمن أمرين عظيمين تناسب المقسم عليه؛ أحدهما: الإحاطة بالحوادث قبل كونها، وأن من علم بالشيء قبل كونه، أبلغ ممن علمه بعد كونه، فإخباره عنه أحكم وأصدق، والثاني: أن حصوله في الكتابة والتقدير، يتضمن حصوله في الكلام والقول والعلم، من غير عكس؛ فإقسامه بآخر المراتب العلمية يتضمن أولها من غير عكس، وذلك غاية المعرفة والعلم إذا صار مكتوباً(4). فالمناسبة جلية بين القسم بالقلم على أن محمداً ليس بمجنون؛ إذ القلم عنوان بارز على العلم، وأهله أرباب الحكمة، والمكتوب المسطور بالقلم حجة ووثيقة ليس كمثلها غير المكتوب.

---

(1) الندوي، أبو الحسن علي الحسني، **تأملات في القرآن الكريم**، (ص 110-111)، دار القلم، دمشق، ط1، 1411هـ - 1991م.

(2) الندوي، **السابق**، (ص105).

(3) ابن قيم الجوزية، **التبيان في أقسام القرآن**، (ص55)، مؤسسة الرسالة، ط1، 1414هـ - 1994م.

(4) ابن تيمية، **مجموعة الفتاوى**،(45/16).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المبحث الثاني
أوجه التناسب في السورة القرآنية

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: التناسب بين مطلع السورة وخاتمتها

المطلب الثاني: التناسب بين مقاطع السورة

المطلب الثالث: الوحدة الموضوعية للسورة

المطلب الرابع: تميز السورة بمفردات وتعابير معينة

المطلب الخامس: التناسب بين اسم السورة وموضوعها

This file was downloaded from QuranicThought.com

التناسب بين كل آية وجارتها يقتضي أن السورة القرآنية وحدة واحدة، وقد مضى في مبحث سابق تشبيه السورة أو تشبيه القرآن الكريم بالبناء الواحد، أو الجسم الواحد، بل وحتى الكلمة الواحدة.

والمعاصرون كالفراهي، وسيد قطب، والدكتور مصطفى مسلم، والدكتور صلاح الخالدي، وسعيد حوى، وأسد سبحاني، ومحمود البستاني، وطه جابر العلواني، وصبحي الفقي، وغيرهم ممن تكرر الرجوع إلى مؤلفاتهم في هذا البحث، استخدموا مصطلحات حديثة من مثل:(الوحدة الموضوعية في السورة، أو الوحدة العضوية، وكذا التماسك، والوحدة البنائية، وعمارة السورة، والتفسير البنائي، فضلاً عن النظام والتناسق والترابط والتناسب والنظم).

وقد أكثر عدد من أئمة التفسير القدماء، من ربط نجوم السورة – أجزاء السورة ومقاطعها – أكثر من مرة خلال التفسير ثم يجملون العلاقة بين هذه الأجزاء وبالأخص قبيل ختام السورة، شعوراً منهم وإشعاراً لقرائهم بوحدة السورة القرآنية، وفيما يأتي عدد من الأمثلة في ربط المقاطع، ثم أمثلة أخرى قديمة ومعاصرة على تبلور فكرة الوحدة الموضوعية في السور القرآنية.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المطلب الأول
التناسب بين مطلع السورة وختامها

أغلب الذين اهتموا بالمناسبة التفتوا إلى الصلة بين بداية السورة ونهايتها، أو رد مقطعها على مطلعها، وإن تفاوتوا في ذلك كثرة وقلة، أو قوة وضعفا وهذه بعض الأمثلة التي تبين ذلك:

١) سورة المؤمنون: قال الزمخشري:" جعل فاتحة السورة: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﮊ ، وأورد في خاتمتها: ﮋ□□□□ ﮊ ، فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة[1]"، فقد" بُدئت السورة الكريمة بتقرير فلاح المؤمنين، وختمت بنفي فلاح الكافرين؛ تحريضاً على الإيمان، وعلى ما يوجب بقاءه وتنميته، من التمسك بالتنزيل"[2].

٢) سورة الإسراء: افتتحت بالتسبيح الذي هو تنزيه الله تعالى عما لا يليق، وختمت بتسبيح الذين أوتوا العلم، ثم بالطلب إلى الرسول ρ أن يحمد الله تعالى على أن تنزه عن الولد والشريك.

٣) سورة الكهف: حيث بدأت بقوله تعالى: ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ □□□□□ □□ □□ □□□□□ ﮊ.

وختـــام الســـورة:" ﮋ□□ □□ □□□□ □□ ﯨ ﯩ ﯪ □□ □□□ □□ □□ □ □ □□□ □□ □ □□□ □□□□□□ □□□ □□□ ﮊ .

قال في الظلال:" وهكذا يتساوق البدء والختام في إعلان الوحدانية، وإنكار الشرك، وإثبات الوحي، والتمييز المطلق بين الذات الإلهية وذوات الحوادث"[1].

---

(1) الزمخشري، **الكشاف**، (201/3).

(2) ابن عجيبة الأندلسي، أحمد بن محمد بن المهدي، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، (44/5)، تحقيق عمر أحمد الراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1423هـ - 2002م.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ففي المطلع حمد الله الذي أنزل على عبده الكتاب، وفي الختام تأكيد الكلام على لسان الرسول أنه بشر/عبد، وأنه يوحى إليه، وفي البداية أن الكتاب ينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً، وفي الختام: أن على من كان يرجو لقاء ربه أن يعمل عملاً صالحاً، وأن لا يشرك بعبادة ربه أحداً.

المطلب الثاني
التناسب بين مقاطع السورة

١) قال في (غرائب القرآن) رابطاً بين مقاطع سورة الصافات وخاتمتها:" واعلم أن السورة اشتملت على ما قاله المشركون في الله، وعلى ما عانى المرسلون من جهتهم، وعلى ما يؤول إليه عاقبة الرسل وحزب الله من موجبات الحمد؛ فلا جرم ختمها بكلمات جامعة لتلك المعاني"[(2)].

٢) وقال الرازي في الآية قبل الأخيرة من سورة الأحقاف:" اعلم أنه تعالى ذكر في أول السورة ما يدل على وجود الإله القادر الحكيم المختار، ثم فرّع عليه قولين؛ الأول: إبطال قول عبدة الأصنام، والثاني: إثبات النبوة، وذكر شبهاتهم في الطعن في النبوة، وأجاب عنها.

" ولما كان أكثر إعراض كفار مكة عن قبول الدلائل بسبب اغترارهم بالدنيا، واستغراقهم في استيفاء طيباتها وشهواتها، وبسبب أنه كان يثقل عليهم الانقياد لمحمد والاعتراف بتقدمه عليهم ضرب لذلك مثلاً وهم قوم عاد فإنهم كانوا أكمل في منافع الدنيا من قوم محمد فلما أصروا على الكفر أبادهم الله وأهلكهم، فكان ذلك تخويفاً لأهل مكة بإصرارهم على إنكار نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، ثم لما قرر نبوته على الإنس أردفه بإثبات نبوته في الجن، وإلى ههنا قد تم الكلام في التوحيد وفي النبوة، ثم ذكر عقيبهما تقرير مسألة المعاد"[(3)].

٣) وأورد النيسابوري[(4)] في أواخر تفسير سورة ص:" واعلم أنه سبحانه لما بدأ في أول السورة بأن محمداً يدعو إلى التوحيد، وأن الكفار يستهزئون منه وينسبونه إلى السخرية تارة وإلى الكذب تارة أخرى، ثم ذكر طرفاً من قصص الأنبياء عليهم السلام ليعلم أن الدنيا دار تكليف وبناء لا دار إقامة وبقاء، ثم عقبه بشرح نعيم الأبرار وعقاب الأشرار، عاد إلى تقرير المطالب المذكورة في أول السورة؛ وهي: صحة نبوة محمد ε وصدق ما يدعو

---

(1) قطب، **في ظلال القرآن**، (2257/4).

(2) النيسابوري، **تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، (579/5).

(3) الرازي، **التفسير الكبير**، (29-30/10).

(4) نظام الدين، الحسن بن محمد القمي النيسابوري، (ت 728هـ)، مفسر له اشتغال بالحكمة والرياضيات، وتفسيره غرائب القرآن كأنه اختصار لتفسير الرازي.[**الأعلام** 216/2].

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

إليه من التوحيد والإخلاص، فقال: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﮊ ، من جميع الوجوه ﮋ ﭹ ﭺ ﮊ لما دونه، ثم أردف باللطف والتربية قائلاً: ﮋ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮊ ، ثم أكد صفتي اللطف والقهر بقوله: ﮋ ﮂ ﮃ ﮊ ؛ فمن عزته أدخل أهل الاستكبار النار، ولمغفرته أعد الجنة لأهل الاستغفار، قوله: ﮋ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ، أي القول بأن الله واحد نبأ عظيم، أو القول بالنبوة أو بإثبات الحشر والقيامة؛ وذلك لأن هذه المطالب كانت مذكورة في أول السورة ولأجلها سيق الكلام منجزاً إلى ههنا"[1].

(1) النيسابوري، **غرائب القرآن**، (606-607/5).

This file was downloaded from QuranicThought.com

المطلب الثالث
الوحدة الموضوعية للسورة

توقف غير واحد من العلماء عند الوحدة الموضوعية، أو المحور الرئيس في السور القرآنية، ومن الأمثلة على ذلك:

١) سورة العنكبوت: مضمونها على ما ذكر الإمام ابن القيم، هو:" سر الخلق والأمر؛ فإنها سورة الابتلاء والامتحان وبيان حال أهل البلوى في الدنيا والآخرة، ومن تأمل فاتحتها ووسطها وخاتمها، وجد في ضمنها أن أول الأمر ابتلاء وامتحان، ووسطه صبر وتوكل، وآخره هداية ونصر"[1].

٢) سورة فصلت: قال الفخر الرازي:" وقد ظهر من كلامنا في تفسير هذه السورة أن المقصود من هذه السورة، هو ذكر الأجوبة عن قولهم: ﮋ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﮊ ؛ فتارة ينبه على فساد هذه الطريقة، وتارة يذكر الوعد والوعيد لمن لم يؤمن بهذا القرآن ولم؟ يعرض عنه، وامتد الكلام إلى هذا الموضع من أول السورة على الترتيب الحسن والنظم الكامل"[2]. وأكد في موطن آخر من السورة أن:" هذه السورة من أولها إلى آخرها كلام واحد "[3].

٣) سورة القلم: يقول الإمام ابن تيمية:" سورة(ن) هي سورة الخُلق، الذي هو جماع الدين الذي بعث الله به محمداً ε، قال الله تعالى فيها: ﮋ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮊ "[4].

وبعد الحديث عن تناسب المقسم به مع المقسم عليه، والغوص في معاني الآيات والموازنة بين صاحب الخُلق القويم، وذوي الخلق الذميم، قال رحمه الله عن السورة:" وختمها بالأمر بالصبر الذي هو جماع الخلق العظيم في قوله:[ﮋ ﯛ ﯜ ﯝ ﮊ [القلم: 48][1].

---

(1) محمد، يسري السيد، **بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية**، (370/3)، دار ابن الجوزي، الدمام، ط1، 1414هـ - 1993م.
(2) الرازي، **التفسير الكبير**، (569/9).
(3) الرازي، **السابق**، (570/9-569).
(4) ابن تيمية، **مجموعة الفتاوى**، (45/16).

This file was downloaded from QuranicThought.com

المطلب الرابع
تميز السورة بمفردات وتعابير معينة

تحدث غير واحد عن الشخصية المستقلة لكل سورة، وتميزها عن غيرها بألفاظ وتعبيرات محددة، ومن أمثلته:

١) فقد ذكر أستاذنا الدكتور أحمد نوفل أنه – وفي سبيل تأكيد الشخصية المتفردة لسورة يوسف – فقد حشدت السورة من التعابير والصور البيانية، ما لم يتكرر في سورة أخرى، من مثل:" أحد عشر، اطرحوه، الجب، يرتع، الذئب، قميصه، بضاعة، قدت، شغفها، سكيناً، حاش لله، السجن، أصبُ، خبزاً، حصحص، رحالهم، نمير، بعير، صواع، وعاء، معاذ الله، العير، حرضاً، بثّي، تثريب، البدو، تعبرون، جهزهم بجهازهم، تفتأ، دلوه، دراهم، أعصر، تعصرون، عجاف، تفندون، غلّقت، رَوح الله، نسوة، الزاهدين"[2].

٢) وفي سورة محمد: أحصى الدكتور صلاح الخالدي الألفاظ التي تفردت بها السورة الكريمة، ومنها: (تعساً، آسن، عسل، أمعاءهم، أشراطها، أقفالها، أضغانهم، أضغانكم، لحن،يُحفِكم).

كما أورد قائمة بالتعابير التي لم ترد على صورتها التركيبية في غير السورة الكريمة، والتي بلغت ثلاثين، منها: (أضل أعمالهم، وأصلح بالهم،فضرب الرقاب، دمر الله عليهم، وأنهار من خمر لذة للشاربين، ولن يتركم أعمالكم، وتقلبكم ومثواكم، والله يعلم إسرارهم)[3].

٣) وبالنسبة إلى سورة النساء التي ركزت على قضايا النساء والأيتام والضعفاء بعامة، فاللافت أن فيها أكثر ورود لكلمة النساء، وكلمة اليتامى، ومشتقات الجذر(ضعف)، مقارنة بجميع سور القرآن الكريم.

٤) وفي سورة القلم جو القسم يبدأ من أولها بقسم الله تعالى وهو الحق، ثم نهي الرسول عن طاعة كل "حلّاف" مهين، ثم إن أصحاب الجنة " أقسموا" ليصرمنها صارمين، وجاء التساؤل بعد القصة: أم لهم "أيمان" علينا بالغة.

---

(1) ابن تيمية، **السابق**، (49/16).

(2) نوفل، أحمد، **سورة يوسف: دراسة تحليلية**، (ص10)، دار الفرقان، عمان، ط1، 1409هـ- 1989م.

(3) الخالدي، صلاح، **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**، (ص: 290- 294).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وفيها أيضاً جو من الصرامة والصرم والحسم، يؤكده أولاً تكرر القسم، ثم مشتقات "صرم": (ليصرمنها، صارمين، كالصريم)، وكذا الحرمان والحرد، وفي السورة كذلك، جو الإصباح: (مصبحين، فأصبحت، وغدوا).

وفيها ذو الخلق العظيم والأوسط عقلاً، المنفي عنه الجنون، يقابلهما الحلاف المهين الهماز المشاء بنميم العتل الزنيم، الذي يتأكد لأضرابه أنهم كانوا هم الضالين الأشبه بالمجانين.

This file was downloaded from QuranicThought.com

المطلب الخامس

التناسب بين اسم السورة وموضوعها

كثير من تسميات السور مرجعها إلى افتتاحها بذلك الأمر الذي سميت به، ولذلك نظائر في شعر العرب؛ كتسميتهم قصيدة كعب بن زهير[1]: (بانت سعاد) لافتتاحها بها، وتسمية قصيدة امرئ القيس[2]: ب(قفا نبك)، تسميةَ الكل باسم أوله؛ لشهرة الأول وخفته وتداوله لكونه أول ما يفاجئه، وعلى هذا كثير من أسماء السور. وكذلك فإن طول شأن الاسم في السورة وإن لم يكن في أولها، من دواعي التسمية به، أو مناسبة الاسم لأول السورة لكون الأول كالترجمة لباقي السورة، وكأنهم يلفتون إلى علاقة اسم السورة بمطلعها الذي يقوم باقي السورة بتفصيله[3]، حيث يتم في العنوان الإشارة إلى المحتوى على اعتبار أنه اعتصار واختصار مكثف للنص القادم[4].

وأكثر من اهتم بالمناسبة بين الاسم والموضوع هو الإمام البقاعي، وهو القائل بأن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها، إذ اهتدى إلى هذه القاعدة بعد وصوله إلى سورة سبأ في السنة العاشرة من ابتدائه في تفسير نظم الدرر[5]، وحيث إنه قد ألزم نفسه أن يذكر مقصود كل سورة من خلال اسمها فإن من الطبيعي أن لا يحالفه التوفيق في جميع اجتهاداته، دون أن ننتقص من قيمة الجهود التي بذلها، والنظرية التي اكتشفها.

ومن المعاصرين صاحب الظلال حيث ربط أحياناً بين اسم السورة وموضوعها، كما فعل في سورة المؤمنون والقتال والواقعة، وفي خواطره القرآنية[6]، حرص الأستاذ عمرو خالد على أن يربط بين السورة وموضوعها في مواطن كثيرة.

---

(1) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني،(ت26هـ)، الشاعر المشهور، صحابي معروف، أنشد قصيدته (بانت سعاد)، فأعطاه الرسول بردته. [**أسد الغابة** 528/3، **الأعلام**، 226/5].

(2) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، (ت 80قه)، يماني الأصل كان أبوه ملك أسد وغطفان.[**الأعلام**، 11/2-12].

(3) ابن عقيلة المكي، **الزيادة والإحسان في علوم القرآن**، (294/1-292).

(4) مالكي، فرج عبد الحسيب، **عتبة العنوان في الرواية الفلسطينية، دراسة في النص الموازي**، (ص 24)، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 1424هـ - 2003م.

(5) البقاعي، نظم الدرر،(12/1).

(6) خالد، عمرو، **خواطر قرآنية**، نظرات في أهداف سور القرآن، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 1425هـ - 2004م.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ولقد سبق القول بأن عنوان السورة – أو اسمها – مفتاح لمعانيها، [(1)]، والأمثلة الآتية تهدف إلى استعراض بعض محاولات الربط بين أسماء السور وموضوعاتها، ثم استخلاص ما يشبه القاعدة في ذلك.

ومن الأمثلة على الربط بين اسم السورة وموضوعها:

١) سورة الشورى: قال البقاعي رحمه الله تعالى في بداية تفسيره للسورة:" مقصودها الاجتماع على الدين الذي أساسه: الإيمان، وأم دعائمه: الصلاة، وروح أمره: الألفة بالمشاورة، المقتضية لكون أهل الدين كلهم فيه[(2)] سواء، كما أنهم في العبودية لشارعه سواء، وأعظم نافع في ذلك الإنفاق والمؤاساة فيما في اليد، والعفو والصفح عن المسيء، والإذعان للحق في الخضوع للآمر الحق وإن صعب وشق... وتسميتها بالشورى واضح المطابقة لذلك"[(3)].

ومن الواضح أن البقاعي رحمه الله تعالى قد استوحى سياق الآية الذي ورد فيه اسم الشورى وهو يتحدث عن المقصود، وهو قوله تعالى: ژ ک ک ک ڳ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ گ گ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ژ.

٢) سورة الفتح: قال في (نظم الدرر):" مقصودها مدلول اسمها الذي يعم فتح مكة وما تقدمه من صلح الحديبية وفتح خيبر ونحوهما، وما وقع تصديق الخبر به من غلب الروم على أهل فارس، وما تفرع[(4)] من فتح مكة المشرفة، من إسلام أهل جزيرة العرب، وقتال أهل الردة وفتوح جميع البلاد الذي كله إظهار الدين على الدين كله، وهذا كله في غاية الظهور بما نطق به ابتداؤها وأثناؤها في مواضع منها: ژ ۓ ۓ ﮆ ﮆ ﮇ ﮇژ [27]، وانتهاؤها[ژ□ □□ژ [28] "[(5)].

٣) سورة النور: قال الدكتور عبد الكريم الخطيب[(6)]، عن سبب تسمية السورة بهذا الاسم، فضلاً عن ورود آية ژ ہ ھ ھ ھ ژ [35]:" لأنها جاءت بآيات كشفت ظلاماً كثيفاً، كان قد انعقد في سماء المسلمين قبل أن تتنزل هذه السورة، وتتنزل هذه؛ وذلك أن السيدة عائشة رضي الله عنها، كانت في تلك الفترة موضع اتهام على ألسنة

---

(1) سعيد، محمد رأفت، **سورة لقمان بين كلمة التنزيل وتناسب الترتيب**، (ص13).
(2) في المطبوع: (في)، والسياق يستدعي الضمير.
(3) البقاعي، **نظم الدرر**، (593/6).
(4) في المطبوع:(تفرغ).
(5) البقاعي، **نظم الدرر**،(183/7).
(6) عبد الكريم محمود الخطيب(1910–1985م)، المصري، المفسر والمفكر الإسلامي، له أكثر من 50 كتاباً، منها سوى التفسير: القصص القرآني، وإعجاز القرآن، والمهدي المنتظر، والحدود في الإسلام، [**تتمة الأعلام** 316/1–317].

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المشركين والمنافقين، وقد أوذي رسول الله ε من هذا الحديث المفترى، كما أوذيت زوجه رضي الله عنها، وأوذي المسلمون بهذا الذي طاف حول بيت النبوة من غبار تلك التهمة المفتراة، فلما نزلت الآيات التي تبرئ البريئة الصديقة بنت الصديق انقشع هذا الظلام، وكشف النور السماوي، عن وجوه المنافقين المفترين... فلهذه الأنوار التي تملأ الوجود من نور الله، ولهذه الآيات المنزلة التي أضاءت للمسلمين ظلام الليل الكثيف... استحقت السورة أن تحمل هذا الاسم"[1].

٤) سورة الأنعام: قال الدكتور محمد البهي[2]: " ... فجاءت سورة الأنعام – وحملت السورة اسم الأنعام باعتبار أن الأنعام تمثل الجانب الرئيسي في الثروة القومية للمجتمع القبلي في شبه الجزيرة العربية . تنكر على الكهان تدخلهم في الأموال الخاصة.. وتنفي نسبة ما يقولون من حلال وحرام، إلى الله.. وتؤكد افتراءهم واختلاقهم على الله، فيما كانوا يوجهون به أتباعهم في شؤون الأموال. كما جاءت لتضع دستوراً عاماً للحلال والحرام، ومقياساً لا يختلف لتقييم أعمال الناس، يستطيع كل إنسان أن يعرف قيمة عمله منه، دون الرجوع إلى وسيط بينه وبين الله.

" فسورة الأنعام هي سورة الأموال الخاصة وموقف الإسلام منها. هي السورة التي تنكر المصادرة والتدخل في شأن الأموال من أية سلطة: دينية ، أو سياسية، إلا طبقاً للدستور العام الذي سجلته هي فيها"[3].

وكما هو ظاهر؛ فقد استرشد الدكتور محمد البهي، وهو يربط بين اسم السورة وموضوعها الرئيس، من السياقات التي ورد فيها الحديث عن الأنعام في السورة ، وهذا الربط الذي قام به الدكتور البهي– على وجاهته– فإنه متأثر بالفترة التي كتب فيها، والتي تميزت بالمد الاشتراكي وقيام الدولة بحملات التأميم.

٤) سورة الكهف: بعد الاقتباسات السابقة، بالإمكان تطبيق ذات المنهج في التوصل إلى المحور الرئيس لسورة الكهف، انطلاقاً من اسمها، ومطلعها وخاتمتها، واستئناساً بما ورد في السنة بشأنها.

الكهف: كانت وظيفته حماية الفتية، وقد انتهت القصة فإذا الدين الذي كان مهدداً مطارداً قد عادت الغلبة لأهله الذين يقررون اتخاذ "مسجد" على فوق الكهف، وبالتالي فقد أظهرت القصة حفظ المؤمنين وحفظ الإيمان، وجو الحفظ ينتظم قصص السورة جميعها، كما سيأتي.

---

(1) الخطيب،عبد الكريم، **التفسير القرآني للقرآن**، (1200/9–1199)، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، 1970م.

(2) محمد البهي(1983-1905)، عالم مصري، تولى إدارة جامعة الأزهر ووزارة الأوقاف، له عشرات المصنفات، خصص عدداً منها لتفسير مجموعة من السور القرآنية،[**تتمة الأعلام**، 133/2-134].

(3) البهي، محمد، **تفسير سورة الأنعام**، (ص7)، دار الفكر، بيروت، ط1، 1394هـ– 1974م.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ونفس المعنى في بدء السورة وختامها؛ في البدء تأكيد على أن الكتاب لا عوج له – أي محفوظ –فلا سبيل إلى تحريفه أو حرفه عن مساره، والختام تأكيد على أن كلمات الله لن تنفد، وخلال السورة تأكيد على أنه لا مبدل لكلمات الله.

وفي الحديث أن (مَنْ حَفظَ عَشرَ آياتٍ مِنْ أَوّلِ سُورةِ الكَهفِ عُصمَ مِنَ الدجّال)[1]، والعصمة حفظ.

وكأن المحور الرئيس في السورة هو التأكيد على حفظ الله تعالى للمؤمنين وكتابهم، حتى يبلغوا التمكين ويصير حالهم كذي القرنين، وبعد أن كانوا يحفظهم الله حال ضعفهم، يُطلب إليهم أن يحفظوا الضعفاء، وإذا كان ما يتعلق بالدنيا سريع الزوال ولا بقاء له، فإن الصالحات هن الباقيات، ويصرخ المجرمون حين يوضع الكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها حيث حفظت أعمالهم ولم يضع منها شيء، وسيأتي مزيد عند الحديث عن التناسب في القصص القرآني.

1 صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، حديث رقم(809).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المبحث الثالث
أوجه التنـاسب بين السـور

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التناسب بين السور المتجاورة

المطلب الثاني: التناسب بين السور ذوات المطالع المتشابهة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المطلب الأول

التناسب بين السور المتجاورة

وللتناسب بين السور المتجاورة أوجه عدة:

١) **التناسب بين الأطراف:**

ويقصد به التناسب بين آخر السورة ومطلع التي تليها، ومن أمثلته:

أ- خاتمة الإسراء وفاتحة الكهف:

خاتمة الإسراء هي قوله سبحانه: ﮋ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﮊ، وفاتحة الكهف ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﮊ.

قال البقاعي:" لما خُتمت تلك بأمر الرسول ε بالحمد عن التنزه عن صفات النقص، لكونه أعلم الخلق بذلك؛ بُدئت هذه بالإخبار باستحقاقه سبحانه الحمد على صفات الكمال التي منها البراءة عن كل نقص، منبهاً بذلك على وجوب حمده بما شرع من الدين على هذا الوجه الأحكم بهذا الكتاب القيم"(1).

ب- خاتمة مريم وفاتحة طه: قال في (روح المعاني) في بداية تفسيره لسورة طه:" ووجه ارتباط أول هذه بآخر تلك؛ أنه سبحانه ذكر هناك تيسير القرآن بلسان الرسول عليه الصلاة والسلام معللاً بتبشير المتقين وإنذار المعاندين، وذكر تعالى هنا ما فيه تأكيد لذلك"(2). ويشبهه ما جاء في (البحر المديد):" ووجه مناسبتها لما قبلها قوله: ﮋ ﭖ ﭗ ﭘ ﮊ ، [مريم:97]، مع قوله: ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮊ [طه]، كأنه يقول: فإنما سهلناه عليك لترتاح به لا لتتعب"(3).

ت- المناسبة بين فاتحة النور وخاتمة المؤمنون: قال النيسابوري:" لما أُمر رسول الله ε في خاتمة السورة المتقدمة بطلب المغفرة والرحمة، وطلبه يستلزم مطلوبه لا محالة بدليل سل تعط، أردفه بذكر ما هو أصل كل رحمة ومنشأ كل خير فقال: ﮋ ﭑ ﮊأي هذه سورة ﮋ ﭒ ﭓ ﮊ [النور:1]"(4).

---

(1) البقاعي، **نظم الدرر**، (441/4).

(2) الألوسي، شهاب الدين السيد محمود، **روح المعاني، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، (216/16)، دار الفكر، بيروت، دط، 1414هـ - 1994م.

(3) ابن عجيبة، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، (259/4).

(4) النيسابوري، **تفسير غرائب القرآن**،(141/5).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ث- المناسبة بين أول الحج وخاتمة الأنبياء: قال البقاعي في بداية تفسير سورة الحج:" لما خُتمت التي قبلها بالترهيب من الفزع الأكبر، وطي السماء وإتيان ما يوعدون، والدينونة بما يستحقون، وكان أعظم ذلك يوم الدين، افتتحت هذه بالأمر بالتقوى المنجية من هول ذلك اليوم"(1).

وقال الشوكاني: " لما أنجز الكلام في خاتمة السورة المتقدمة إلى ذكر الإعادة وما قبلها وما بعدها، بدأ سبحانه في هذه السورة بذكر القيامة وأهوالها، حثاً على التقوى التي هي أنفع زاد فقال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﮊ [الحج: ١]"(2).

٢) التناسب بين الفاتحتين:

في القرآن الكريم أزواج أو مجموعات من السور المتجاورة تتطابق فواتحها أو تتقارب، أو يكون بينها وجه من وجوه المناسبة، وسيأتي في المطلب الثاني من هذا المبحث، ما يترتب على المشابهة بين الفواتح من تناسب بين السور تجاورت أم لم تتجاور، وأما هنا فالمقصود إبراز ارتباط فاتحتي السورتين المتجاورتين، ومن أمثلته:

أ- الإسراء والكهف: فاتحة الإسراء هي ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﮊ، وفاتحة الكهف: ﮋ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﮊ.

والمناسبة بينهما أولاً: من حيث تكرر لفظة (عبده) في الافتتاحيتين مقصوداً بها محمد ε، وثانياً: من حيث افتتاح الإسراء بالتسبيح، والكهف بالتحميد، "وهما مقترنان في القرآن وسائر الكلام بحيث يسبق التسبيح التحميد، نحو: ﮋ ﭴ ﭵ ﭶ ﮊ [الحجر:98]، وسبحان الله وبحمده"(3). وقال الإمام الرازي في تعليل تقدم التسبيح في الإسراء على التحميد في الكهف:" التسبيح أول الأمر لأنه عبارة عن تنزيه الله عما لا ينبغي، وهو إشارة إلى كونه كاملاً في ذاته، والتحميد عبارة عن كونه مكملاً لغيره، ولا شك أن أول الأمر هو كونه كاملاً في ذاته، ونهاية الأمر هو كونه مكملاً لغيره؛ فلا جرم وقع الابتداء في الذكر بقولنا: (سبحان الله)، ثم نذكر بعده: (الحمد لله)، تنبيهاً على أن مقام التسبيح مبدأ، ومقام التحميد نهاية"(4).

---

(1) البقاعي، **نظم الدرر**،(129/5).
(2) الشوكاني، **فتح القدير**،(593/3).
(3) السيوطي، **تناسق الدرر في تناسب السور**،(ص99).
(4) الرازي، **التفسير الكبير**، (421/7).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ب- الأنبياء والحج: ذكر أبو جعفر بن الزبير أنه:" لما افتتحت سورة الأنبياء بقوله تعالى: ﴿ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ﴾ [الآية: 1] وكان وارداً في معرض التهديد، وتكرر في مواضع... وقد ختمت بمثل ما به ابتدئت، اتصل بذلك ما يناسبه من الإعلام بهول الساعة وعظيم أمرها"[1].

٣) **التفصيل والإجمال:**

حيث يذكر الأمر مجملاً في سورة فتأتي التي بعدها فتفصله، ومن أمثلته:

أ- مناسبة مجيء سورة النور بعد المؤمنون: " وجه اتصالها بسورة قد أفلح: أنه لما قال:﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ﴾ [المؤمنون]، ذكر في هذه أحكام من لم يحفظ فرجه، من الزانية والزاني، وما اتصل بذلك من شأن القذف، وقصة الإفك، والأمر بغض البصر، وأمر فيها بالنكاح لحفظ الفروج، وأمر من لم يقدر على النكاح بالاستعفاف وحفظ فرجه، ونهى عن إكراه الفتيات على الزنا"[2].

ب- بين مريم وطه: قال السيوطي:" لما ذكر في سورة مريم قصص عدة من الأنبياء، وهم زكريا ويحيى وعيسى، الثلاثة مبسوطة، وإبراهيم، وهي بين البسط والإيجاز، وموسى وهي موجزة بجملة؛ أشار إلى بقية النبيين في الآية الأخيرة[3] إجمالاً. وذكر في هذه السورة شرح قصة موسى، التي أجملها هناك، فاستوعبها غاية الاستيعاب وبسطها أبلغ بسط، ثم أشار إلى تفصيل قصة آدم الذي وقع مجرد اسمه هناك، ثم أورد في سورة الأنبياء بقية من لم يذكر في مريم"[4].

ويضاف إلى ذلك، أنه لما لفتت سورة مريم، إلى أهمية هارون في مؤازرة موسى عليهما السلام ، ومن قبل بنسبة مريم إليه: ﴿ ڦ ج ﴾ [مريم: 28]؛ فإن سورة طه قد ذكرت دعاء موسى بطلب هارون وزيراً وكثر ذكره فيها، بل قدمه السحرة عندما – خروا سجدا- في الذكر.

ت- بين آل عمران والنساء: فقد جاء في أواخر آل عمران قوله سبحانه: ﴿ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ٻ پ ٻ پ ٻ ٿ ٿ ٿ ﴾ [آل عمران: 195]، حيث تضمنت أمرين: وحدة الأصل بين الجنسين، والعدل في الجزاء الإلهي وعدم تضييع أي من الجنسين، أو أي فرد منهما. ثم جاءت سورة النساء يبين أولها أن الله تعالى خلق

---

(1) البقاعي، **نظم الدرر**،(5/ 129- 130).

(2) السيوطي، **تناسق الدرر**، (ص104).

(3) يشير إلى قوله تعالى(أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل...)، [مريم:58].

(4) السيوطي، **السابق**، (ص102).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الناس ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ... ٺ ٺ ڻ ژ [النساء: 1] هو تفصيل لقوله: ژ ٿ ٹ ٹژ ، ثم تكرر التأكيد في السورة على إيتاء النساء حقوقهن على قدم المساواة مع الرجال، في مثل قوله تعالى:ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ژ [النساء]، وقوله سبحانه:ژ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮬ ژ [النساء:32]، فإنه تعالى بعد أن أكد أنه لا يضيع عمل عامل ولا يظلم أحداً أو يهضمه حقه في الآخرة، دعا المؤمنين أن يؤتوا النساء حقوقهن رعاية للنساء في الحياة الدنيا.

٤) **أن يُذكر موضوع في سورة فتأتي جارتها لتعالج ذات الموضوع من جانب آخر**

ومن أمثلته: **موضوع الرحمة بين الكهف ومريم:** حيث تكررت الرحمة في قصص سورة الكهف، كما تكررت في قصص سورة مريم التي تليها، لكن الملاحظ أن الرحمة في الكهف هي رحمة الحماية والمحافظة على المؤمنين والضعفاء، والرحمة في مريم هي الرحمة بالمعين على الدعوة.

كما يلاحظ في الآيتين الكريمتين: ژ ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ژ، و ژ□ □□□ □□ ژ [الكهف: 82]، كما قال الخضر لموسى مؤولاً أفعاله الغريبة بأنها رحمة بالمساكين أصحاب السفينة التي يلاحقها الملك القرصان، وبالوالدين اللذين قتل ابنهما كيلا يرهقهما طغياناً وكفراً، وباليتيمين إذ أقام الجدار ليحفظ لهما كنزهما، ومثل ذلك قول ذي القرنين للقوم الذين لا يكادون يفقهون قولاً بعدما أقام ردما يمنع عنهم عدوان يأجوج ومأجوج: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻپ پ پ پ ڀ ڀ ڀڀ ژ [الكهف:98].

وأما الرحمة في سورة مريم، فهي رحمة أصفياء الله المذكورين، بمن يعينهم على الدعوة في مثل قوله سبحانه: ژ ٻ ٻ ٻ پ پ ژ ، وقوله تعالى: ژ□□□□□□□□ ژ ، وقوله جل شأنه: ژ ٻ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ژ.

٥) **المناسبة بين أسماء السور:**

ضرب السيوطي لذلك أمثلة؛ فقال في المناسبة بين سورتي القمر والنجم:" لا يخفى ما في توالي هاتين السورتين من حسن التناسق في التسمية؛ لما بين النجم والقمر من الملابسة، ونظيره توالي الشمس والليل والضحى"(1).

وقد لاحظ الباحث وجود تناسب بين أسماء بعض السور المتجاورة، وهو إذ يذكرها فلأجل أن يلفت الأنظار إلى ما قد يكون باباً مهماً من أبواب التناسب، حيث المعتاد في أوجه المناسبة أن يكون بعضها ظاهراً بيّناً، والبعض

---

(1) السيوطي، **تناسق الدرر**، (ص120).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الآخر يكتنفه بعض الغموض، والبعض الثالث يحتاج إلى طول تفكر؛ وليس من المقبول رفضه لعدم جلائه أو اكتشافه.

ومن الأمثلة عليه السور الثلاث: المؤمنون والنور والفرقان، فالمؤمنون بإيمانهم اتبعوا النور الذي جاء به النبي ε أو انتقلوا وخرجوا بالإيمان من الظلمات إلى النور، وحيث تمسكوا بالنور فقد تحصل لديهم الفرقان، (الفرقان هو القرآن) الذي يفرق بين الحق والباطل، وشأن النور أن يساعد في تمييز الأشياء والتفريق بينها.

وكذلك سورتا آل عمران والنساء؛ فقد ركزت آل عمران على امرأة عمران ومريم عليهما السلام، ودعت سورة النساء إلى رعاية النساء بعدما أشادت آل عمران بمَثَلين كريمين منهن، إذ إن النظرة السلبية للمرأة باعتبارها أصل الشرور، قد تؤدي إلى اليأس من إصلاحها بل والاعتداء على حقوقها.

وأما عن العلاقة بين اسمي البقرة وآل عمران؛ فإن الأولى تحدثت عن جنس ما عبده بنو إسرائيل من البقر، والثانية تحدثت عما عبده النصارى؛ وهما عيسى ومريم من آل عمران، والبقرة مهمة وأساسية لحياة الإنسان المادية، وتحدثت الثانية عن أمر رئيس آخر، لكن لحياة الإنسان الروحية وهم حَمَلة الدين من آل عمران.

المطلب الثاني
المناسبة بين السور ذوات المطالع المتشابهة

توقف العلماء عند السور التي لها ذات الفواتح لكشف المشترك فيها، والمعاني التي يمكن أن تستشف من ترتيبها في كتاب الله تعالى، ومن الأمثلة:

١) السور المفتتحة بالحمد: حيث ذكر ابن كثير[1] في مطلع تفسيره سورة الكهف، أنه تعالى يحمد نفسه المقدسة عند فواتح الأمور وخواتمها؛ فإنه المحمود على كل حال، وله الحمد في الأولى والآخرة، ولذا حمد نفسه على إنزاله كتابه العزيز على رسوله الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه"[2].

هناك خمس سور من القرآن الكريم افتتحت بالحمد، هي الفاتحة وأولها: ژ پ پ پ پ ڀ ژ ، ثم الأنعام وفاتحتها: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ژ ، وبعدهما الكهف ومطلعها: ژ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ژ ، ثم تأتي سورة سبأ وبدايتها ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ

(1) هو أبو الفداء ، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، (ت774) ، مفسر محدث مؤرخ تتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية ، له: البداية والنهاية، وطبقات الفقهاء الشافعيين، وجامع المسانيد،[انظر : **طبقات الأدنروي** ص360-361، و**الأعلام** 320/1].

(2) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، **تفسير القرآن العظيم**، (71/3)، دار المعرفة، بيروت، 1388هـ - 1969م.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ﯳ ﭧ ﭨ ﮊ ، والسورة الأخيرة هي فاطر، وقد استهلت بقوله تعالى: ﮋ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﮊ.

يرى الإمام محمود شلتوت[1] أن سور الحمد تعبر عن مظهر الربوبية في الخلق والإيجاد، وفي الهدى والإرشاد، وأن هذه النعمة الكبرى هي سر استحقاقه تعالى واختصاصه بالحمد والثناء، الذي ينبغي أن يتوجه إلى مصدرها فقط.

"ومع اشتراك السور الخمس في الافتتاح بتقرير استحقاق الحمد لله على هذه النعمة الكبرى، كان لكل سورة منها منهج خاص فيما عرضت له من أنواع تلك النعمة، وقد جاءت الفاتحة بالنسبة لسائرها في هذا الشأن، كما جاءت هي لجميع القرآن بالنسبة لكل ما تضمنته، جاءت أما تجمع فروع التربية وأنحاءها التي وزعت على السور الأربع، وتقاسمتها؛ فهي تقول: ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﮊ، فتربط استحقاق الحمد لله بربوبيته للعالمين، والربوبية المطلقة تنتظم التربية الخلقية، جسمية وعقلية بالخلق والإيجاد، كما تنتظم التربية التشريعية بالوحي والرسالة؛ فكما لا خالق ولا مانح للعقل وقوى التفكير سواه، لا مشرع ولا مرشد ولا هادي سواه.

" وتجيء بعد الفاتحة سورة الأنعام، فتثبت أيضاً استحقاق الحمد لله وحده، وتسير في طريق نوع من أنواع التربية العامة، وهو نوع الخلق والإيجاد للكائنات وظواهرها، ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﮊ ... و" تجيء بعد ذلك سورة الكهف فتأخذ روح التربية بالوحي: ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﮊ ،...ثم تجيء سورة سبأ فتبدأ بإثبات الحمد لله أيضاً، وتأخذ نوعاً من أنواع التربية المطلقة، يرجع إلى الملك والتصرف الحكيم، والتدبير المحكم ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﮊ .

" ثم تجيء بعد ذلك سورة فاطر وهي آخر السور الخمس، فتذكر استحقاق الله وحده الحمد، وتجمع في سبيله نوعي التربية: الجسمية والسماوية، ولكن على تفصيل لم يذكر في سورة الفاتحة؛ فتذكر السماوات والأرض، وتذكر رسل الوحي من الملائكة، وتذكر أن الله مصدر الرحمة بيده إمساكها وبيده إرسالها، ... ثم تذكر الذين ينقادون لتربية الوحي، وترشد إلى أن ما أوحى به إلى محمد –ε– هو الحق المصدق لما بين يديه، وأن الله

---

(1) محمود شلتوت(1963–1893م)، فقيه ومفسر مصري، تخرج في الأزهر ودرّس فيه ثم صار شيخاً له، من كتبه: الإسلام عقيدة وشريعة، القرآن والمرأة، القرآن والقتال، ولم يفسر سوى الأجزاء العشرة الأولى، [**الأعلام**، 173/7].

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يورث الكتاب من يصطفيهم من عباده، وهكذا تمزج التربيتين: الخَلقية والتشريعية في منهجها"[1]، وفاتحة سورة فاطر هي: ژ ں ڻ ڻ ڻ ڈ ۀ ہ ہ ہ ھ ھھ ھ ے ے ۓ ۓڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ژ.

٢) السور المفتتحة بالتسبيح: قال الكرماني[2]: هذه الكلمة– التسبيح– استأثر الله بها، فبدأ بالمصدر منها في بني إسرائيل(الإسراء)؛ لأنه الأصل، ثم الماضي، في الحديد والحشر والصف؛ لأنه أسبق الزمانين، ثم بالمستقبل، في الجمعة والتغابن، ثم بالأمر في سورة الأعلى، استيعاباً لهذه الكلمة من جميع جهاتها"[3]، وقال أبو جعفر بن الزبير:" وإنما تقدم الماضي لثباته رتبةً ووجوداً قبل المضارع، ثم أُتبع بما يقتضي الاستمرار، وكان ورود أكثرها على التعبير بالماضي؛ لأنه أوضح في استحكام الثبات وامتداده"[4].

والملاحظ أن الكرماني وأبا جعفر قد التفتا إلى الأمر من خلال المنظار النحوي، الذي يدل على واقع الأمر بالنسبة للتسبيح، فإن الله سبحانه منزه في ذاته من قبل إيجاده المخلوقين وتنزيههم له، ولذلك بُدئ بالمصدر، ثم كان الحديث عن قيام المخلوقات في الماضي بتسبيحه تعالى واستمرارها على ذلك في الحاضر والمستقبل، وهو كما يبدو السر في توالي صيغتي الماضي والحاضر، وما دام الأمر كذلك بالنسبة لذات الخالق سبحانه، وسلوك المخلوقين ماضياً وحاضراً، فما ينبغي للإنسان أن يتلكأ أو يشذ، وعلى هذا جاءت صيغة الأمر آخر المطاف، وقد تكرر في القرآن الحديث عن تسبيح ما في الكون؛ كيما يسير الإنسان مع التيار ويلحق بالركب.

٣) قال في الميزان إن:" السور القرآنية المصدرة بالحروف المقطعة لا تخلو من ارتباط بين مضامينها وبين تلك الحروف، فالحروف المشتركة تكشف عن مضامين مشتركة"[5].

وعند السامرائي أن :" كل سورة تبدأ بالطاء ترد فيها قصة موسى في أوائلها مفصلة قبل سائر القصص، مثل: طه، وطس، وطسم في القصص، وطسم في الشعراء، وليس في المواطن الأخرى مما يبدأ بالحروف المقطعة

---

(1) شلتوت، محمود، **تفسير القرآن الكريم**، (ص364–368).

(2) محمود بن حمزة الكرماني،(ت 505هـ)، النحوي المعروف بتاج القراء، له: شرح على البخاري، وشرح اللمع لابن جني، وخط المصاحف، ولباب التأويل المشهور باسم العجائب والغرائب.[**طبقات الأدنروي** ص 149، **الأعلام** 168/7].

(3) الكرماني، محمود بن حمزة، **البرهان في توجيه متشابه القرآن**(أسرار التكرار في القرآن، كما سماه المحقق)، (ص 232)، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، القاهرة، د.ط ، د.ت.

(4) ابن الزبير، **ملاك التأويل**، (891/2).

(5) الطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، (7/14).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

مثل ذلك؛ فالقاسم المشترك فيما يبدأ بالحرف (ط) قصة موسى مفصلة في أوائل السورة. والملاحظة الأخرى أن ما يبدأ ب(طسم) تكون قصة موسى فيها أطول مما يبدأ ب(طس)، فكأن زيادة الميم إشعار بزيادة القصة[1]".

وأما بالنسبة إلى السور المفتتحة بحرف الصاد؛ فإن سورة (ص)، التي فيها كلمات صادية كثيرة[2] بالمقارنة مع غيرها من السور، قد اشتملت على عدد" من الخصومات المتعددة؛ فأولها خصومة الكفار مع النبي ε، وقولهم: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮊ [ص:5]، إلى آخر كلامهم، ثم اختصام الخصمين عند داود ε، ثم تخاصم أهل النار، ثم اختصام أهل النار، ثم اختصام الملأ الأعلى في العلم... ثم تخاصم إبليس واعتراضه على ربه وأمره بالسجود، ثم اختصامه ثانياً في شأن بنيه وحلفه ليغوينهم أجمعين إلا أهل الإخلاص منهم[3]".

ووصفت سور مريم التي تضمنت فاتحتها حرف الصاد قوم محمد ε أنهم قوم (لُد)، وافتتحت الأعراف منبهة الرسول ألا يضعف فيترك بعض ما أنزل إليه، تحت تأثير الخصومة الشديدة.

يضاف إلى ذلك: أن جو الذكر والتذكير في سورتي (مريم) و(ص) بارز؛ فكلتاهما تبدآن بالذكر ثم يتكرر فيهما الأمر به، ويمكن أن يلاحظ الأمر نفسه في سورة الأعراف، التي تتضمن فاتحتها حرف الصاد، حيث يتكرر فيها مادة الذكر في عدد من الآيات كذلك وبداية من مطلعها.

---

(1) السامرائي، فاضل صالح، **التعبير القرآني**، (ص: 224)، دار عمار، عمان، ط1، 1418هـ - 1998م.

(2) ورد حرف الصاد في سورة (ص) 29 مرة، جرار، بسّام، **إعجاز الرقم 19 في القرآن الكريم**، (ص: 111) المؤسسة الإسلامية، بيروت، ط2، 1414 هـ - 1994م.

(3) الزركشي، **البرهان**، (1/218- 219).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المبحث الرابع

التناسب في القصص القرآني

وفي خمسة مطالب:

المطلب الأول: التناسب بين قصص السورة الواحدة

المطلب الثاني: تشكل قصة جديدة من قصص السورة

المطلب الثالث: تناسق الشخصية في القصص القرآني

المطلب الرابع: التناسب بين اللفظة القرآنية وبيئة القصة الأصلية

المطلب الخامس: التناسب بين ما يذكر من القصة القرآنية وواقع الدعوة

This file was downloaded from QuranicThought.com

القصص في القرآن يجري عليه ما يجري على جميع آيات القرآن الكريم، من حيث تناسبها مع الواقع الذي نزلت لمعالجته، والسورة التي وردت فيها، ومن الطبيعي أن تتناسب القصص الواردة في السورة الواحدة بعضها مع بعض، فضلاً عن أن تشكل هذه القصص المتتالية أو المتناثرة في السورة فصولاً من قصة جديدة، تؤدي الغرض المقصود من السورة، كما التفت الباحثون إلى أن كل شخصية قصصية قرآنية – وإن توزعت على مواضع كثيرة – فإنها متناسقة ولها تميزها واستقلالها عن سائر الشخصيات الأخرى.

وقد أُفردت المناسبة في القصص القرآني لأهميته، ولتعدد أشكال المناسبة فيه سواء داخل السورة أو بين السور، وكذا تناسبها لواقع النزول أو واقعها التاريخي، وتناسق الشخصية.

ولعل سيد قطب أن يكون أول من نظم الدرر المتناثرة حول مناسبات القصص القرآني من كتب التفسير، فضلاً عن الإضافات المميزة التي جاء بها مما فتح الله عليه، سيما وأنه أديب مطبوع ومفكر من ذوي النبوغ، وذلك في كتابه (التصوير الفني)، ثم في تفسير (الظلال).

This file was downloaded from QuranicThought.com

المطلب الأول
التناسب بين قصص السورة الواحدة

ومن الأمثلة على التناسب بين القصص القرآني في السورة الواحدة:

١) قال في (مجمع البيان):" لما ذكر الله سبحانه أن إيمان فرعون لم يُقبل عند معاينة العذاب، وصل ذلك بذكر إيمان قوم يونس، قبل نزول العذاب، فقال: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﮊ [يونس: 98] "[1].

٢) وذكر في (اللباب) وجوهاً لمناسبة قصة البقرة مع ما قبلها:" أحدها: أنه تعالى لما عدد النعم المتقدمة على بني إسرائيل؛ كإنزال المن والسلوى، ورفع الطور، وغير ذلك؛ ذكر بعد هذه النعم التي بيّن فيها البريء من غيره، وذلك من أفضل النعم. الثاني: أنه تعالى لما حكى عنهم التشددات والتعنت، كقولهم:ﮋ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮊ [2][البقرة: ٥٥]، وقولهم: ﮋ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮊ [البقرة: ٦١]، وغير ذلك من التعنت، ذكر بعدُ تعنتاً آخر؛ وهو تعنتهم في صفة البقرة"[3].

٣) قال الشوكاني:" لما ذكر سبحانه حال بعض الشاكرين لنعمه عقبه بحال بعض الجاحدين لها فقال: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﮊ [سبأ: 15] "[4]، يقصد الربط بينها وبين قصة سليمان وداود الشاكرَيْن.

٤) وعن حكمة مجيء قصة عيسى بعد قصة يحيى عليهما السلام قال الفخر الرازي: " إنما قدم قصة يحيى على قصة عيسى عليهما السلام، لأن خلق الولد من شيخين فانيين، أقرب إلى مناهج العادات من تخليق الولد لا من الأب البتة؛ وأحسن الطرق في التعليم والتفهيم الأخذ من الأقرب فالأقرب مترقياً إلى الأصعب فالأصعب"[5]، وذلك بحسب التصور البشري والقدرة البشرية.

يضاف إلى ذلك أن قصة زكريا ويحيى في السورة – مثلما كانت في الواقع – فإنها كالتمهيد والتقديم لقصة مريم وعيسى عليهم السلام، فالسورة اسمها مريم وبدايتها عن زكريا تمهيداً وتهيئة، وفيهما من التشابه الكثير؛ إذ إن

(1) الطبرسي، **مجمع البيان**، (208/5).
(2) في المطبوع: (يريد الله جهرة) [النساء:153]، وهو خطأ من جهتين: أن آية النساء فيها (أرنا) وليس(يريد)، والثانية أن السياق هو عن آيات البقرة وليس عن آيات النساء، ولذلك اقتضى التصحيح.
(3) ابن عادل، **اللباب في تفسير الكتاب**، (153/2).
(4) الشوكاني، **فتح القدير**، (421/4).
(5) الرازي، **التفسير الكبير**، (519/7– 520).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الناظر في قصتيهما، سيجد، وبشكل يكاد يكون مطردا، أن عناصر قصة يحيى، تشكل مقدمة وتوطئة وتمهيدا، لما يقابلها من قصة عيسى، التي تبدو عناصرها أكبر وأكمل.

فقد كانت ولادة يحيى عليه السلام، من أم عجوز عاقر وشيخ كبير، معجزة موطئة وممهدة للمعجزة الأكبر في ولادة عيسى عليه السلام دون أب.

والآية لزكريا في حمل يحيى أن لا يكلم الناس ثلاث ليال سويا، ومريم تنذر للرحمن صوماً فلا تكلم في ذلك اليوم إنسيا.

وكانت المعجزة في أن يؤتى يحيى الحكم صبيا، مقدمة للمعجزة الأكبر في أنّ عيسى يكون نبيا ويبلّغ عن الله في المهد صبيا.

وكذلك كانت نبوة يحيى موطئة لنبوة عيسى ..بحيث يكون يحيى مصدقا بكلمة من الله، فمع أنه سبقه، إلا أنه يصير بعد بعثة عيسى مؤيداً وتابعاً له.

٥) وقال الرازي في حكمة مجيء قصة إبراهيم عليه السلام بعد قصة مريم في سورة مريم: " اعلم أن الغرض من هذه السورة بيان التوحيد والنبوة والحشر، والمنكرون للتوحيد هم الذين أثبتوا معبوداً سوى الله تعالى، وهؤلاء فريقان: منهم من أثبت معبوداً غير الله حياً عاقلاً فاهماً وهم النصارى، ومنهم من أثبت معبوداً غير الله جماداً ليس بحي ولا عاقل ولا فاهم؛ وهم عبَدة الأوثان. والفريقان وإن اشتركا في الضلال، إلا أن ضلال الفريق الثاني أعظم؛ فلما بين تعالى ضلال الفريق الأول تكلم في ضلال الفريق الثاني وهم عبَدة الأوثان"[1].

المطلب الثاني

تشكل قصة جديدة من قصص السورة (قصص سورة الكهف أُنموذجاً)

---

(1) الرازي، **التفسير الكبير**، (541/7).

This file was downloaded from QuranicThought.com

هذا المطلب امتداد لسابقه؛ إذ هو يتحدث عن تناسب القصص في السورة الواحدة، لكنه ينظر إليها جميعاً باعتبارها فصولاً أو حلقات متسلسلة.

فقصة الكهف التي سميت بها السورة كانت كأنها فصل أول في رواية، وتبعتها القصص الأخرى فصولاً تالية، أو هي ملخص وتفصيله ما بعده؛ لكأن السورة بدأت بما يشبه واقع المسلمين في مكة من المطاردة والاضطهاد، ثم أرادت تصبيرهم على ما هم فيه بطمأنتهم على أنفسهم وعلى دينهم، ولَفَتهم إلى أن لله سبحانه حكمة عظيمة في كل أمر، وأن الأمور ليست على ظاهرها دائما، والمطلوب تسليم الأمر لله تعالى، فإن الله تعالى سيرعاهم ويحفظهم حتى يتم نوره، ويصير حالهم إلى حال ذي القرنين فيفتحوا المشارق والمغارب بالتوحيد، واسم ذي القرنين كما هو واضح، يوحي بمعاني القوة والغلبة.

وقد جاءت السورة وقصصها بشكل عام تدعوهم إلى الصبر وعدم الاستعجال، وتطمئنهم ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﮊ [الكهف: 21]، كما تحقق الوعد لفتية الكهف، ثم جاءت قصة ذي القرنين "ذكراً"؛ ﮋ□□□□□□ □□□ ﮊ [الكهف]، أي تذكيراً لهم بدورهم الرسالي في نشر التوحيد وحماية الضعفاء، جهاداً في سبيل الله تعالى والمستضعفين، كيلا يكون كل همهم الخروج من الأزمة دون التفكير في المستقبل المطلوب، ومرة أخرى يأتي الحديث عن وعد الله، لكن على لسان ذي القرنين، مقترناً بالحديث عن الآخرة، فالمؤمن لا ينسى في كل أحواله أنه صائر إلى دار الجزاء، فيصبره ذلك أيام الشدة، ويضبطه أيام العز والنصر ويقيه الغرور والانحراف.

وإذا كانت قصة الكهف تحدثت عن الفتية المؤمنين المطاردين، كيف حفظهم الله تعالى وحفظ الدين الذي قاموا لأجله، حتى إنهم ليبنون المساجد؛ فإن القصة التالية تنبه المؤمنين إلى أن امتلاك زينة الحياة الدنيا لا يعني النصر والتأييد والحفظ والبقاء، إذ الحفظ مرهون بقدر الله وقدرته، وقد جاء بين القصتين قوله تعالى : ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﮊ [الكهف]، فهي من جهة تطالب الرسول عليه السلام، بأن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم؛ فإنهم محفوظون كما حُفظ أصحاب الكهف، وبالغون مراد الله تعالى منهم، وتنهاه من جهة أخرى عن طاعة مَن أغفل الله قلبه واتبع هواه وحُكم عليه بأن أمره فُرط، وإن كان ظاهره يشير إلى غير ذلك، وقصة صاحب الجنتين مثال واضح لذلك.

ثم تأتي أخبار موسى مع الخضر عليهما السلام فيها حفظ السفينة لأصحابها المساكين، وحفظ الأبوين المؤمنين، ثم حفظ الكنز لليتيمين اللذين كان أبوهما صالحاً، تطميناً للمؤمنين المستضعفين أنهم محفوظون في

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

دينهم وذرياتهم وأموالهم ولن تغرق سفينة حياتهم ولا سفينة دعوتهم، وأن عليهم حين يصيرون إلى مثل حال ذي القرنين أن يقوموا هم بحماية المستضعفين حسبة لله تعالى، كما حفظهم حال ضعفهم، وكما فعل ذو القرنين حين جعل الردم، لحماية القوم الذين لا يكادون يفقهون قولاً، من إفساد يأجوج ومأجوج.

وقد تكرر الحديث عن الصبر في القصة السابقة لقصة التمكين – قصة ذي القرنين، كأنما لترسخ في قلوب المؤمنين أنه لا يكون تمكين دون صبر وأن الساعات التي تسبق التمكين تحتاج صبراً أكبر.

المطلب الثالث

تناسق الشخصية في القصص القرآني

قال صاحب كتاب البيان القرآني: إن " التصوير سمة عامة للبيان القرآني في كل مجالاته التعبيرية، وهو في القصة القرآنية على أتم ما يُعهد، فأنت تعرف الشخصيات القرآنية معرفة متميزة؛ حتى لتفرق بوضوح بين سمات

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يوسف وموسى وإبراهيم وسليمان، وبلقيس وامرأة العزيز، لا أقول السمات الظاهرية وحدها، بل السمات الخافية التي تمور في مسارب اللحم والعظم"[1].

وسنلحظ من خلال الأمثلة الآتية أن أية شخصية مهما تكرر ورودها في السور القرآن، وبالرغم من تعدد المواقف والتطورات الحاصلة في القصة، في سياق العمل الدعوي والحياتي، أو الانتقال من مرحلة عمرية إلى أخرى، بل لا نبالغ إذا قلنا بأن كل مجموعة بشرية وردت في القصص القرآني، لها ملامح خاصة تميزها عما سواها، بحيث تتناسق عناصر الشخصية وتتكامل، دون شذوذ ولا نشوز.

١) فأما إبراهيم عليه السلام فهو " نموذج الهدوء والتسامح والحلم: ﮋ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮊ [هود: ٧٥][2] ، فهو الذي آتاه الله تعالى رشده صغيراً، فرفض عبادة الأصنام، بل كسرها وهو لما يزل فتى ليقنع قومه بخطأ الذي يفعلون، ويحاور عبَدة الأصنام والأجرام السماوية من قومه، كما يحاور أباه ، ويتحمل مواقفه العدوانية مسالماً له وواعداً إياه بالاستغفار له، ونلاحظ إبراهيم عليه السلام في أكثر من سورة يتوجه إلى الله تعالى بالدعاء. وامتداداً لصفة الحلم عنده، يتكرر مشهد إبراهيم الخليل يحاجج ويجادل مرة أباه ومرة قومه وثالثة الذي آتاه الله الملك، بل إنه ليجادل الملائكة في قوم لوط.

وإذ نلحظ الشجاعة والجرأة العالية في مواجهات إبراهيم ومنذ صغره، مع كرم النفس والتسامح، فإننا نلاحظ إبراهيم عليه السلام الكريم الجواد الذي يأتي بعجل سمين حنيذ لضيوفه، ومعلوم أن هذه الصفات متلازمة، كما أن البخل والجبن واللؤم صفات متلازمة.

٢) وأما يوسف فنموذج للرجل الواعي الحصيف[3]؛ فها هو ذا يلقى العنت من مراودة امرأة العزيز له فيأبى، ولا يفجؤه قدوم العزيز ومبادرة المرأة إلى اتهامه، بل يظل محافظا على رباطة جأشه ويرد بقلب ثابت ولسان صادق أنها هي التي راودته عن نفسه. وإذ يكون في السجن وقبل أن يفسر الرؤى فإنه يقدم لذلك بدعوتهما إلى التوحيد، ثم إنه لا يعين أي الرجلين هو الذي سيسقي ربه خمراً وأيهما الذي سيصلب فتأكل الطير من رأسه، كيلا يجزع الأخير. وعندما يأتيه من يطلب تأويل رؤيا الملك فإنه يقدم خطة عمل واستراتيجية لخمس عشرة سنة قادمة ولا يكتفى بالتأويل، ثم لا تستخفه دعوة الملك للخروج من السجن بل يطلب إعادة التحقيق في القضية، وتتجلى

---

(1) البيومي، **البيان القرآني**، (ص149).

(2) قطب، **التصوير الفني في القرآن**، (ص164).

(3) قطب، **السابق**، (ص166-169).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الحصافة كذلك في إكرام إخوته، وتأخير كشف نفسه لإخوته، ثم في إيواء شقيقه ووضع السقاية في رحله، والبدء بأوعيتهم قبل وعاء أخيه.

والصبر والحصافة قرينان إذ الصبر ضياء، وقد تجلى ذلك في صبر يوسف على أذى إخوته، وعلى السجن، وعلى البعد عن أهله ووطنه. وهذه الحصافة لم تخطئها فراسة العزيز وهو يقول لامرأته: ژ ۇ ۆ ۈ ۋ ۋ ۇ ۋ ۋ ژ [يوسف: 21]، ولم تخطئها أُذن الملك إذ قال له بعدما كلمه: ژ ڦ ڤ ڤ ڤ ڃ ڃ ژ [يوسف].

ومع الصبر كانت التقوى، بعدم استجابته للمراودة وبتكرار عبارة (معاذ الله) عند الدعوة إلى الفاحشة، أو ذكر ما يعني الظلم.

والإحسان هو التقوى والصبر مجتمعين، ويوسف عليه السلام يصفه ربه بأنه من المحسنين: ژ ى ى ي ي ژ [يوسف]، ويتحدث هو عن نفسه أنه قد تحقق بصفة الإحسان إذ اتقى وصبر فلم يضع الله تعالى أجره: ژ ګ ګ ګ ګ ګ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ژ [يوسف]، كما يصفه الفتيان بنفس الصفة ژ□□□□ □□ ژ [يوسف]، ويخاطبه بها الإخوة: ژ□□ ى ى ي ي □ □□□□□□ ژ [يوسف]، بل إن رؤيته وحتى مجرد ذكر اسمه ليستدعيان تنزيه الله تعالى، وتذكر الملائكة الكرام، والشهادة له بالبراءة من السوء: ژ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ژ [يوسف]، و ژ ۋ ى ې ې ې ې □□ □□□□□□ ژ [يوسف: ٥١].

٣) **شخصية إخوة يوسف:** لعل عاملين أساسيين قد ساهما في تشكيل شخصيتهم الجماعية؛ أولهما: سكنى البادية، والثاني: كونهم أبناء نبي الله يعقوب عليه السلام.

وعلى الرغم من شدة الذي يجدونه في نفوسهم تجاه يوسف عليه السلام، وتفكيرهم في قتله، فليس من الموضوعية الظن بأنهم مجرمون محترفون؛ ففي اجتماعهم للتخلص من يوسف، بدأوا الحديث عن القتل، وفي نفس اللحظة كان اقتراح آخر بعدم قتله والاكتفاء بطرحه أرضاً ليكون الهلاك بغير أيديهم، ولو كانوا مجرمين محترفين، ما شفاهم إلا مباشرة الجريمة بأنفسهم، وقد لاحظنا قول بعضهم لبعض: (اقتلوا يوسف)، كأن كل واحد منهم يريد أن يتهرب من مباشرة الجريمة بيده، وكان إجماعهم آخر الأمر ألا يقتلوا يوسف والاكتفاء بإلقائه في غيابة الجب، ولعل استعجالهم طلب اصطحاب يوسف(غداً)، خشية منهم، أو خشية من الشيطان الموسوس لهم أن تصحو ضمائرهم ويتراجعوا عما في نفوسهم ، فيما المجرمون المحترفون لا تزيدهم الأيام إلا حقداً، ويحتاجون لمزيد من الوقت لإحكام التخطيط، ويدل على بساطتهم أيضاً وضعف قرائحهم وضحالة مخيلتهم أنهم لم

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يستطيعوا نسج قصة يفسرون بها غياب أخيهم إلا أن يقولوا: أكله الذئب، وهو عين الذي قاله لهم أبوهم في الليلة السابقة، وحين أرادوا تأكيد زعمهم كانت كلماتهم تفضحهم وهم يقولون: ﮋ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﮊ [يوسف]، فيما المجرمون المحترفون وهم يخططون لقتل صالح عليه السلام، أكثر قدرة على الحبك والإحكام وإثبات براءتهم من الجريمة: ﮋ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮊ [النمل].

ومتابعة للحديث عن الشخصية الجماعية لإخوة يوسف عليه السلام؛ فإن من الملاحظ تكريرهم للقسم المبدوء بحرف التاء: ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮊ [يوسف]، و ﮋ□□□□□□□ □ □□□ □□□ ﮊ [يوسف]،و ﮋ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮊ [يوسف]،و ﮋ□□□ □ ﯕ ﯖ ﯗ ﮊ [يوسف].

المطلب الرابع
التناسب بين اللفظة القرآنية وبيئة القصة الأصلية

الألفاظ والتراكيب التي يختارها القرآن الكريم في قصصه، تنتقل بالقارئ إلى حيث بيئة القصة، فمع كون القرآن عربياً إلا أنه ينتقي العبارات العربية التي تنتمي أيضاً لبيئة القصة المعينة، ومن الأمثلة على ذلك:

١) لفظة اليم، والتي تعني البحر[1]؛ فالملاحظ أنها لم ترد إلا في قصة موسى عليه السلام، وإذا رجعنا إلى تفسير المنار، عند تفسير قوله تعالى: ﮋ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﮊ [الأعراف]، سنجده يقول: أي فانتقمنا منهم عند بلوغ الأجل المضروب لهم بأن أغرقناهم في اليم – وهو البحر في اللغة المصرية الموافقة للعربية في الألوف من مفرداتها، وهو يطلق على النيل وغيره" وقال في الهامش :" قد اكتشف هذه الموافقة علّامة العاديات المصرية صديقنا أحمد باشا كمال الأثري المصري صاحب المعجم الكبير للغة الهيروغليفية"[2].

---

(1) السمين الحلبي، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، (411/4)، تحقيق محمد التونجي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1414هـ - 1993م.

(2) رضا، **تفسير القرآن الحكيم الشهير بالمنار**،(95/9).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

٢) وجاء في قصة إبراهيم عليه السلام: ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮊ [الأنعام]، فقد أشار إلى الشمس بقوله: ﮊ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮊ ولم يقل:" هذه ربتي هذه أكبر" مع كون الشمس تعامل معاملة المؤنث عند العرب، حيث تبين من دراسة آلهة ما بين النهرين أن الشمس عندهم إله مذكر " [1].

٣) وعبارة ﮊ ﭞ ﭟ ﮊ [يوسف: ٢٣]، بمعنى: هلم لك، بالقبطية، أو السريانية[2].

المطلب الخامس
التناسب بين ما يذكر من القصة القرآنية وواقع الدعوة

القرآن، مكيّه ومدنيّه، كان يعالج واقع الدعوة في ظرفي الزمان والمكان، ويهيئ لقابل الأيام، وقصص القرآن التي هي بعض القرآن، كانت أيضاً تعالج الواقع الذي تنزلت فيه، وتهيئ لمستقبل الدعوة الإسلامية، وسنجد النبي الواحد تتوزع قصته على أجزاء عديدة، وتتنزل في أزمنة مختلفة، بحيث يتناسب كل نجم منها مع الواقع الذي نزل فيه.

1) **قصة إبراهيم:** فإذا تأملنا قصة إبراهيم عليه السلام في السور المكية، فسنجده غالباً يتعلق بالحجاج مع عبدة الأصنام والأجرام وحتى في دعائه، نجده في سورة إبراهيم المكية يدعو ﮊ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﮊ، وفي سورة البقرة المدنية حيث بنو إسرائيل يساكنون المؤمنين يأتي الحديث عن إسماعيل ابن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، ثم دعاؤهما أن يبعث في أهل مكة رسولاً منهم، ومن قبل بناء البيت من قبل إبراهيم وإسماعيل، وهو القبلة الجديدة – القديمة، التي يعجب السفهاء من عودة المسلمين إليها، لتأكيد صلة محمد ρ بإبراهيم ρ الذي يدعي يهود أنهم أبناؤه، وحيث إن هذه القبلة من بناء إبراهيم فما يسعهم الاعتراض عليها، وفي

---

(1) الطراونة، سليمان، **دراسة نصية أدبية في القصة القرآنية،** (ص157)، دن، ط1، عمان،1413هـ – 1992م.
(2) الماوردي، **النكت والعيون،** (23/3)، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، د ت.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قول الله تعالى لإبراهيم بعد إذ أتم الكلمات التي ابتلي بها: ژ ﮬ ے ے ۓۓ ﯓ ﯔ ﯕﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ژ [البقرة]، تأكيد على أن الإمامة ليست أمراً يُنال بالوراثة عبر التوالد، ولكن بالنجاح في الاختبار وإتمام الكلمات الربانية، أما الظالمون– والإشارة هنا نحو اليهود– فإنها تؤذن بنزع الراية منهم وتسليمها لمحمد ρ وأمته.

وقال الرازي عند تفسيره قصة إبراهيم عليه السلام في سورة مريم: " وإنما شرع في قصة إبراهيم لوجوه: أحدها: أن إبراهيم عليه السلام كان أبا العرب وكانوا مقرين بعلو شأنه، وطهارة دينه على ما قال تعالى: ژ ﮱ ﯓ ﯔژ [الحج: 78]، وقال تعالى: ژ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌﮍ ژ [البقرة: 130]، فكأنه تعالى قال للعرب: إن كنتم مقلدين لآبائكم على ما هو قولكم: ژ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ژ [الزخرف]، ومعلوم أن أشرف آبائكم وأجلهم قدراً هو إبراهيم عليه السلام فقلدوه في ترك عبادة الأوثان وإن كنتم من المستدلين فانظروا في هذه الدلائل التي ذكرها إبراهيم عليه السلام لتعرفوا فساد عبادة الأوثان؛ وبالجملة فاتبعوا إبراهيم إما تقليداً وإما استدلالاً.

" وثانيها: أن كثيراً من الكفار في زمن الرسول ε كانوا يقولون كيف نترك دين آبائنا وأجدادنا؟ فذكر الله تعالى قصة إبراهيم عليه السلام وبين أنه ترك دين أبيه وأبطل قوله بالدليل، ورجح متابعة الدليل على متابعة أبيه ليعرف الكفار أن ترجيح جانب الأب على جانب الدليل رد على الأب الأشرف الأكبر الذي هو إبراهيم عليه السلام"(1).

2) **قصة يوسف:** وقد تحدث غير واحد من المفسرين والمفكرين الإسلاميين عن التناسب بين قصة يوسف عليه السلام، وواقع الدعوة النبوية فالطبري، يقول خلال تفسيره الآية[19] من سورة يوسف: " وهذا، وإن كان خبراً من الله تعالى عن يوسف نبيه– ε – ، فإنه تذكير من الله نبيه محمداً ε وتسلية منه له عما كان يلقى من أقربائه وأنسبائه المشركين من الأذى فيه، يقول: فاصبر يا محمد، على ما نالك من الله، فإني قادر على تغيير ما ينالك به من المشركين، كما كنت قادراً على تغيير ما لقي يوسف من إخوته في حال ما كانوا يفعلون به ما فعلوا، ولم يكن تركي ذلك لهوان يوسف عليّ، ولكن لماضي علمي فيه وفي إخوته، فكذلك تركي تغيير ما ينالك به هؤلاء

---

(1) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، (7/541– 542).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المشركون، لغير هوان بك عليّ، ولكن لسابق علمي فيك وفيهم، ثم يصير أمرك وأمرهم إلى علوك عليهم، وإذعانهم لك، كما صار أمر إخوة يوسف إلى الإذعان ليوسف بالسؤدد عليهم وعلو يوسف عليهم"(1).

وتعليقاً على قوله تعالى: ژ ى ى ي ي ژ [يوسف]، يقول الطبري أيضاً:" هذا وإن كان مخرج ظاهره على كل محسن، فإن المراد به محمد نبي الله ε ، يقول له عز وجل: كما فعلتُ هذا بيوسف من بعد ما لقي من إخوته ما لقي، وقاسى من البلاء ما قاسى، فمكنته في الأرض، ووطأت له في البلاد، فكذلك أفعل بك فأنجيك من مشركي قومك الذين يقصدونك بالعداوة، وأمكن لك في الأرض، وأوتيك الحكم والعلم، لأن ذلك جزائي أهل الإحسان في أمري ونهيي"(2).

ويعقد صاحب كتاب "مؤتمر تفسير سورة يوسف" فصلاً للمشابهة بين قصتي محمد ويوسف عليهما الصلاة والسلام، يقول فيه:" فأنزل عليه وهو بمكة هذه السورة كاملة مرة واحدة، ليحيط علمه بما سيقع له من قريش وليقيس أحوال قريش على أحوال هؤلاء ويقيس شخصه على شخص يوسف، إذ هو اليوم يوسف قريش"(3).

3) **وتشير قصة أصحاب الجنة**، في سورة القلم: إلى أن حال محمد ε مع قومه، كحال أوسط أصحاب الجنة مع شركائه، أنه أوسطهم أي خيرهم وأعقلهم، وقد وصفه ربه بأنه على خلق عظيم، والحال أن الخلق الكريم قرين العقل الراجح، ومن هنا وصفه ربه تعالى بأنه على خلق عظيم، بعد أن نفى عنه التلبس بالجنون؛ ژ ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ں ژ [القلم]، فما ينبغي للأوسط أن يتبع الأقل منه، والأصل أنه بالنسبة إليهم متبوع لا تابع، ومطاع غير طائع، فكيف إذا كانوا على الحال الأسوأ؟ فمن هنا جاء في السورة : ژ ڭ ڭ ۇ ۇ ژ [القلم] ثم، ژ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ژ [القلم].

والمشابهة واضحة من البداية من قوله تعالى في مطلع القصة: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ژ [القلم] إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة، فهنا نعمة وهناك نعمة، نعمة ثمار البستان، وهناك في مكة نعمة الإطعام والأمن، ونعمة إرسال محمد ε – الأخ الأوسط – لقريش بالتسبيح الذي أوله التوحيد ونبذ الشرك، وكذا إطعام المساكين، وقد وُصفوا في غير هذا الموضع بأنهم لا يتحاضون على طعام المسكين، ومن العطاء الذي يمنعونه: الصد عن دعوة محمد ε ، فضلاً عن عدم استجابتهم لها وحملها معه.

(1) الطبري، **جامع البيان**، (221/12).
(2) الطبري، **السابق**، (232/12).
(3) نوفل، أحمد، **سورة يوسف دراسة تحليلية**، (ص102)، نقلاً عن مؤتمر تفسير سورة يوسف، لعبد الله العلمي.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وهناك نعمة الأوسط – أخيهم الصالح– الذي يأمرهم بالتسبيح، ويقتضي الأمر بالتسبيح، الرد على ظنهم أن مصلحتهم تقتضي منع المساكين، والله تعالى هو الأعلم بمصلحة العباد، وظنهم أنهم سيفلتون من عقاب الله إذ يخالفون أمره، ثم وهم يقحمون اسم الله تعالى في سياق التأكيد على اقتراف ما نهى، وذاك مناقضة للتسبيح، فضلاً عن أن الإكثار من الحلف بالله دليل على أن صاحبه لا يقدُر الله تعالى حق قدره، وقد كان حرياً بهم وهم يذكرون اسمه الجليل، أن يكون ذلك مدعاة لإجلاله وتعظيم أمره واجتناب نهيه.

ولئن نهى القرآن محمداً ε عن طاعة المكذبين وطاعة كل حلاف مهين، وأراه حال الأوسط وصحبه إذ تغلبوا عليه، فإنه قد نهاه وحذره من أن يكون كصاحب الحوت داعياً إياه إلى الصبر لحكم ربه، ما يشير إلى أن صاحب الحوت عليه السلام لم يصبر لحكم ربه، وسيان من ينسحب ومن يدهن.

٤) **قصة مريم:** فيما يتعلق بمناسبة ما ورد من قصة مريم في سورة مريم لواقع الدعوة في العهد المكي، فإن نزول هذه القصة قبيل الهجرة إلى الحبشة، يهدف – فيما يهدف– إلى لفت نظر ملكها إلى الدين الجديد، الذي يجمعه وإياه أرضية مشتركة فيما يتعلق بحقيقة عيسى عليه السلام، وليكون دافعاً له لحسن استضافة المهاجرين وحمايتهم[(1)]، وقد وقع الأمران فآمن النجاشي ولم يقبل بإرجاع المسلمن إلى مكة، لا بل أنذر أهل مملكته من مغبة التعرض للمسلمين بأذى[(2)].

ومن جهة أخرى فقد كان نزول هذه القصة بمثابة الوقاية والتحصين لهم من عقيدة أهل الحبشة، فليسوا جميعهم على نفس الدرجة من الإيمان والوعي، فضلاً عن أن غالب أهل الحبشة لم يكونوا على مثل اعتقاد الملك، ومع ذلك تتحدث بعض المصادر عن تنصر بعض المهاجرين[(3)].

---

(1) الجابري، محمد عابد، **مدخل إلى القرآن الكريم**، (1/365–364)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2006م، بتصرف.

(2) العمري، أكرم ضياء، **السيرة النبوية الصحيحة**، (1/174–173)، ط5، 1413هـ – 1993م.

(3) ابن القيم، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، (2/50)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ط، دت.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المبحث الخامس
أنواع التناسب بين السور القرآنية

سبق تعريف التناسب بأنه ارتباط أجزاء القرآن الكريم بعضها ببعض، وكانت المباحث السابقة عن أجزاء القرآن التي يكون بينها ارتباط، أما هذا المبحث فيُعنى بطرائق العلماء ومناهجهم في توجيه المناسبات القرآنية، وفهمهم لأسس ذلك الارتباط بين أجزاء القرآن، وهو ما اخترت له اسم: أنواع التناسب، وخاصة ما يكون منها بين السورة وتاليتها، وأكثره مما استخلصه الدكتور محمد العبد[1] من تناسق الدرر للسيوطي، أو ما استخرجه الباحث مشهور المشاهرة[2] من تفسير البقاعي، علماً بأن هناك العديد من من نقاط الالتقاء بينهما.

١) التفصيل والإجمال:

القاعدة التي استقر بها القرآن – كما ذكر السيوطي – أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له، وإطناب لإيجازه[3].

ويمكن أن نلحظ هذه الخاصية القرآنية بين السورة والتي تجاورها بل بين مقاطع السورة الواحدة، فقد بدأت سورة الواقعة بتقسيم الناس أزواجاً ثلاثة، ومن ثم فصلت الآيات التالية في هذه الأزواج.

ولئن جاء في أواخر سورة يوسف تقريع المشركين على إعراضهم عن آيات الله المبثوثة في السماء والأرض: ژ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ژ ، فقد افتتحت سورة الرعد التالية لها بما يفصل القول في هذه الآيات السماوية والأرضية، من رفع للسماء بغير عمد، وتسخير للشمس والقمر، ومن إرساء للجبال ومد للأرض وجعل

---

(1) العبد، محمد، **النص والخطاب والاتصال**،(ص157–169)، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مصر، ط1، 1426هـ – 2005م.

(2) مشاهرة، مشهور موسى، **التناسب القرآني عند الإمام البقاعي**/ دراسة بلاغية، (ص 107– 129)، أطروحة ماجستير، في اللغة العربية وآدابها، من الجامعة الأردنية، 2001م.

(3) السيوطي، **تناسق الدرر**، (ص 65).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الأنهار، وما جعل في الأرض من الثمرات الكثيرة وجنات النخيل والأعناب، ﮋ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ

ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ
ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ
ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ
ﯙ ﯚ ﯛ ﮊ[1].

٢) **التناسب على الدليل والبرهان:**

من هذا القبيل، التناسب القائم بين أوائل سورة الفيل وخواتيم سورة الهمزة؛ فإنه لما قدم في الهمزة "أن كثرة الأموال المسببة بالقوة والرجال ربما أعقبت الوبال، دل عليه بدليل شهودي محذراً من الوجاهة في الدنيا وعلو الرتبة والطغيان، مشيراً إلى أن هذه الأمور كلما عظمت زاد ضررها بما تجره، وما تحمله في ثناياها، إلى أن ينازع صاحبها الملك الأعلى، فالويل له بعد ذلك، وأدل دليل عليها ما شاهدته قريش من أمر أصحاب الفيل"[2].

ومثله التناسب بين آخر الإسراء وأول الكهف؛ فلما ختمت الإسراء بأمر الرسول ρ بالحمد عن التنزه عن صفات النقص، لكونه أعلم الخلق بذلك، فقد بُدئت الكهف بالإخبار باستحقاقه سبحانه الحمد على صفات الكمال التي منها البراءة من النقص، منبهاً بذلك على وجوب حمده بما شرع من الدين على هذا الوجه الأحكم بهذا الكتاب القيم الذي خضعت لجلاله العلماء الأقدمون، وعجز عن معارضته الأولون والآخرون، الذي هو الدليل على ما خُتمت به سورة الإسراء من العظمة والكمال والتنزه والجلال[3].

وكذا أوائل سبأ مع الأحزاب[4]،والتحريم والطلاق[5]، والفجر مع الغاشية[6].

٣) **التناسب على أساس السبب والنتيجة:**

ومثاله ترتب الفتح، بمعنى النصر، على القتال، وكون الأول نتيجة للثاني؛ حيث جاءت سورة الفتح بعد سورة القتال[7]، وكذا ارتباط سورة النصر بسورة الكافرون، على اعتبار أن إخلاص العباد ولاءهم لله تعالى وتبرُأهم من

---

(1) البقاعي، **نظم الدرر**، (4/119-118).
(2) البقاعي، **نظم الدرر**، (8/528).
(3) البقاعي، **نظم الدرر**، (4/441).
(4) البقاعي، **نظم الدرر**، (6/144).
(5) البقاعي، نظم الدرر، (8/43).
(6) البقاعي، **نظم الدرر**، (8/413).
(7) الألوسي، **روح المعاني**، (26/127).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أعدائه سبب لحصول نصر الله والفتح، فكأنه تعالى يقول: لما أمرتك بمجاهدة جميع الكفار، بالتبري منهم، وإبطال دينهم؛ جزيتك على ذلك بالنصر والفتح وتكثير الأتباع[1].

ومن المناسبة بين سورتي الفيل وقريش، ما ذكره بعض النحاة من أن اللام في ژ ﭑ ﭒ ﭓ ژ موصولة بما قبلها، على معنى أنه سبحانه جعلهم كعصف مأكول لإلف قريش، أي أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قريش وما قد ألفوا من رحلة الشتاء والصيف، ومع أن هذا ليس هو الرأي الراجح عند النحاة[2]، فإن المناسبة المعنوية حاصلة بين السورتين.

ومثل ذلك توالي سُوَر: المؤمنون والنور والفرقان، فإن الإيمان سبب لامتلاك للنور، والنور سبب نتيجته حصول الفرقان.

٤) **التناسب على أساس التقابل:**

بأن يؤتى بمعنيين فأكثر ثم ما يقابل هذه المعاني[3]، وهي وسيلة في العرض تقوم على مبدأ إقامة ضدية بين فكرتين أو تعبيرين، مع قصد في اللفظ ووفاء بحق المعنى، بهدف الإقناع والإمتاع؛ لما تتضمنه من صور لنماذج بشرية مختلفة، وحقائق دينية متناقضة[4]، ففي سورة الواقعة مقابلة بين أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، وفي الحاقة مقابلة بين من يؤتون الكتاب باليمين ومن يؤتونه بالشمال، وفي سورة الليل مقابلة بين الليل والنهار، وبين الذكر والأنثى، وبين من أعطى واتقى وصدق بالحسنى، فيسره الله لليسرى، ومن بخل واستغنى وكذب بالحسنى، فيسره الله للعسرى.

وقال الإمام الفخر الرازي عن سورة الكوثر بأنها كالمقابلة لسورة الماعون التي قبلها؛ حيث وصف الله سبحانه فيها المنافقين بأربعة أمور: البخل وترك الصلاة والرياء فيها ومنع الزكاة، فقد ذكر في مقابلة البخل ژ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ژ أي الخير الكثير، وفي مقابلة ترك الصلاة ژ ژ ژ أي دم عليها، وفي مقابلة الرياء ژ ژ ژ أي لرضاه لا

---

(1) الرازي، **التفسير الكبير**، (335/32).

(2) الزجاج، أبو إسحق إبراهيم بن السري(ت211هـ)، **معاني القرآن وإعرابه**، (365/5)، تحقيق عبد الجليل شلبي، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1414هـ - 1994م.

(3) عباس، فضل حسن، **البلاغة فنونها وأفنانها/ علم البيان**، (ص 278)، دار الفرقان، عمان، ط2، 1996م.

(4) مشاهرة، **التناسب البلاغي**،(ص118، 119)، عن/ بن عيسى بطاهر، المقابلة في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، الجامعة الأردنية، عمان، 1994م.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

للناس، وفي مقابلة الماعون ژ ڑ ژ وأراد به التصدق بلحوم الأضاحي[1].

٥) **التناسب على أساس التكميل والعطف:** بأن تكون السورة في ترتيبها كالتتمة للتي قبلها، مثل سورة المعارج– فيما ذكر السيوطي– فإنها كالتتمة لسورة الحاقة في بقية وصف يوم القيامة والنار[2]، وكذلك الأمر بالنسبة لسورة عبس التي ختمت بوعيد الكفرة الفجرة بيوم الصاخة؛ لجحودهم بما لهذا القرآن من التذكرة؛ ابتدئت التكوير التي تليها، بإتمام ذلك، فصور ذلك اليوم بما يكون فيه من الأمور الهائلة[3] ، وكذلك الأمر بالنسبة إلى سورتي البقرة وآل عمران؛ حيث فصلتا أواخر الفاتحة فاختصت الأولى بالتعريف بالمغضوب عليهم، وفصلت الثانية في التعريف بالضالين.

وبالإمكان أن نجد لدى البقاعي وغيره، حديثاً عن التناسب بين عدد من السور المتتالية، تلخيصاً لسور ماضية، أو تهيئة لسور تالية، كما فعل وهو يعطف مناسبات الحاقة والمعارج ونوح والجن والمزمل والمدثر، فالقيامة والإنسان فالمرسلات والنبأ واستمر حتى الانفطار، وما بعدها[4].

٦) **التناسب على أساس الملابسة:**

وقد ضرب السيوطي لذلك أمثلة فقال في المناسبة بين سورتي القمر والنجم:" لا يخفى ما في توالي هاتين السورتين من حسن التناسق في التسمية؛ لما بين النجم والقمر من الملابسة، ونظيره توالي الشمس والليل والضحى[5]"، وقال في موطن آخر:" هذه الثلاثة حسنة التناسق جداً، لما في مطالعها من المناسبة بين الشمس والليل والضحى من الملابسة[6]، ومقصده من الملابسة، كما يبدو، المخالطة والتداخل وذاك واضح بين القمر والنجم في الواقع، وكذلك بالنسبة للشمس والليل والضحى؛ فالليل والضحى وقتان، فضلاً عن علاقة الشمس بهذين الوقتين وجوداً وعدماً.

---

(1) الرازي، **التفسير الكبير**، (307/32).

(2) السيوطي، **تناسق الدرر**، (ص128).

(3) البقاعي، **نظم الدرر**، (335/8).

(4) البقاعي، **السابق**، (8/144–143).

(5) السيوطي، **تناسق الدرر**، (ص120).

(6) السيوطي، **السابق**، (ص137).

This file was downloaded from QuranicThought.com

٧) التناسب على أساس بيان العلة:

بمعنى أن تقع السورة موقع العلة لما قبلها، ومثاله عند السيوطي سورة البينة الواقعة موقع العلة لما قبلها؛ كأنه سبحانه لما قال في القدر: (إنا أنزلناه)، قيل: لم أُنزل؟ فقيل: لأنه لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة، وهو رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة، وذلك هو المُنَزَّل[1].

ومن ذلك أيضاً اختتام الواقعة بالأمر بالتسبيح، وافتتاح الحديد به؛ على اعتبار أن أول الحديد واقع موقع العلة للأمر به وكأنه قيل: ﮋ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﮊ [الواقعة]، لأنه ﮋ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮊ [الحديد][2].

٨) التناسب على أساس التعجب والإنكار:

ومثال ذلك مناسبة أول المعارج آخر الحاقة، فقد دل على وجوب وقوعها بتسميتها الحاقة تنبيهاً على أنه لا بد منها ولا محيد عنها، ولم يبق هناك نوع لبس في وجوب التفرقة في الحكم بين المحسن والمسيء، وأن ترك ذلك مناف للكمال؛ لم يبق عذر لأحد أن ينكرها ويسأل عن وقوعها، ولو فعل أي أحد لكان جديراً بالتعجب منه والإنكار عليه[3].

والأمر نفسه يقال في مناسبة أول سورة النبأ لآخر المرسلات، فإنه لما أخبر في آخر المرسلات بتكذيبهم بيوم الفصل وحكم على أن لهم بذلك الويل المضاعف المكرر، وختمها بأنهم إن كفروا بهذا القرآن لم يؤمنوا بعده بشيء؛ افتتح سورة النبأ بأن من خالفوا فيه وكذبوا الرسول في أمر لا يقبل النزاع، فقال معجباً منهم غاية العجب، زاجراً لهم ومنكراً عليهم، ومتوعداً لهم ومفخماً للأمر بصيغة الاستفهام[4].

وثمة أوجه أخرى للمناسبة؛ بين الآيات بعضها ببعض، وكذا بين السور، وفي داخل الآية الواحدة وبالذات فواصل الآيات، مما أورده البقاعي والسيوطي وغيرهما، لكن غاية هذا المبحث هي التمثيل، لا الاستقصاء.

---

(1) السيوطي، **السابق**، (ص 141).
(2) السيوطي، **تناسق الدرر**، (122-121).
(3) البقاعي، **نظم الدرر**، (144/8-143).
(4) البقاعي، **السابق**، (295/8-294).

This file was downloaded from QuranicThought.com